MUSAHAMATU GULAM ALI AZAD BILGRAMI FI AL-ADAB AL-ARBI FI AL-HIND:

DIRASAH TAHLILIAH LI AASARIHI WA SHERIHI

(CONTRIBUTION OF GULAM ALI AZAD BILGRAMI
TO ARABIC LITERATUE IN INDIA :
AN ANALYTICAL STUDY OF HIS WORKS AND POETRY)

DISSERTATION

SUBMITTED TO THE JAWAHARLAL NEHRU UNIVERSITY
IN PARTIAL FULFILMENT OF THE REQUIREMENTS
FOR THE AWARD OF THE DEGREE OF

MASTER OF PHILOSOPHY

BY

MOHAMMED ABDULLAH WASEEM

UNDER SUPERVISION OF

PROF. M. ASLAM ISLAHI

CENTRE OF ARABIC AND AFRICAN STUDIES
SCHOOL OF LANGUAGE, LITERATURE AND CULTURE STUDIES
JAWAHARLAL NEHRU UNIVERSITY
NEW DELHI - 110067
INDIA

1998

जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय
JAWAHARLAL NEHRU UNIVERSITY
NEW DELHI - 110 067

CENTRE OF ARABIC AND AFRICAN STUDIES
SCHOOL OF LANGUAGE, LITERATURE
AND CULTURE STUDIES

CERTIFICATE

This is to certify that the Master of Philosophy dissertation entitled "**Musahamatu Gulam Ali Azad Bilgrami fi al-Adab al-Arabi fi al-Hind: Dirasah Tahliliah li Aasarihi wa Sherihi**" (Contributon of Gulam Ali Azad Bilgrami to Arabic Literature in India: An Analytical Study of his Works and Poetry) submitted by Mr. Mohammed Abdullah Waseem, is his original work. To the best of my knowledge this work neither in part nor in full has ever been submitted to any university/institution for the award of the same degree.

PROF. M. ASLAM ISLAHI
SUPERVISOR

DR. F. U. FAROOQUI
CHAIRPERSON
CAAS/SLL&CS
21/7/98

GRAM : JAYENU TEL. : 6107676, 6167557 TELEX : 031-73167 JNU IN FAX : 91-011-6865886

مساهمة غلام علي آزاد البلكرامي في الأدب العربي في الهند

دراسة تحليلية لآثاره وشعره

بحث جامعى

لنيل شهادة ماقبل الدكتوراة

الباحث

محمد عبد الله وسيم

تحت إشراف

البروفيسور محمد أسلم الإصلاحي

مركز الدراسات العربية والإفريقية

مدرسة الدراسات اللغوية والأدبية والثقافية

جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي - ١١٠٠٦٧

١٩٩٨

الإهداء

إلى

روح أبى الكريمة

و

أمى الحنون

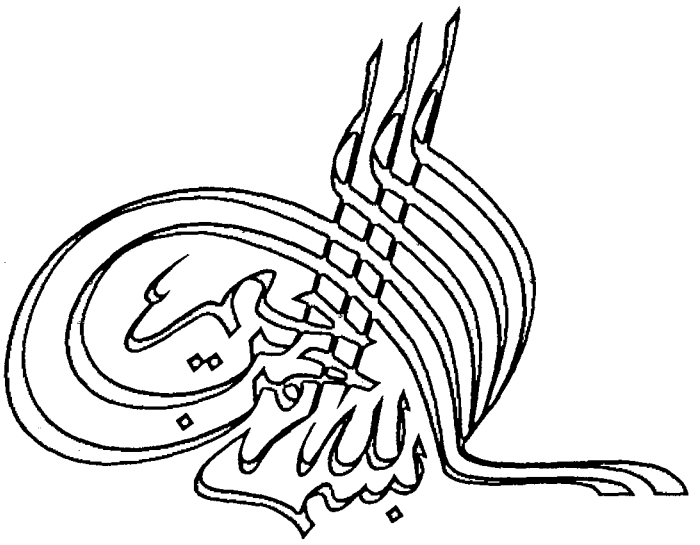
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إذا تتبعنا تاريخ العلم والأدب في شبه القارة الهندية وجدنا أنه في غاية من الخفاء ، لأن أهلها لم يعنوا بتدوينه و لم يبالوا بتحقيقه، فلم يؤلف في قديم الزمان أي كتاب يستغرق تاريخ العلوم والفنون التي تطورت في شبه القارة الهندية حتى القرن السابع عشر المسيحي تقريبا حينما بذل بعض العلماء عناية خاصة إلى تقدير وتحقيق مساهمة أهل الهند في تطوير هذه العلوم الإسلامية والفنون الأدبية، فألفت كتب من مثل "سبحة المرجان في آثار هندوستان" لغلام على آزاد و"نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" للسيد عبد الحي الحسني و"أبجد العلوم" للنواب صديق حسن خان و"تذكرة علماء هند"للشيخ رحمن علي وغير ذلك من الكتب التي تقدم صورة واضحة للتقدم العلمي والأدبي الذي يمتاز به أهل الهند .

ولكن الحقيقة التي تتبلور من مطالعة هذه الكتب هي أن إنتاجات العلماء والكتاب المسلمين الهنود تقتصر بوجه عام علي موضوعات دينية بحتة فقد بذلوا جهودا جبارة في تطوير العلوم الإسلامية مثل التفسير والحديث والفقه والأصول والكلام ؛ أما اللغة العربية وآدابها فلا نجد عددا كبيرا من العلماء يعنون بها، ويقومون بنشاطات أدبية محضة نظرا إلى عناياتهم نحو العلوم الإسلامية، ذلك لأن اللغة العربية لم تكن لغة الهنود في أي عهد، لا رسميا ولا عاميا، وكانت اللغة الفارسية سائدة في كل مجالات العلوم والفنون، ثم كانت اللغة الهندية والأردوية غالبة على أهل الهند .

ومع ذلك لم يمكن للمسلمين الهنود أن يتغافلوا عن اللغة العربية، لأنها لغة دينهم، ولأن كتابهم المقدس أنزل فيها، ولأن جميع مصادر العلوم والمعارف الإسلامية قد دونت في هذه اللغة، فتماسكوا بها، وتعلموها، واجروا فرسهم في مجالها، وتركوا آثارا أدبية لا يمكن أن تنقص قيمتها .

وأما الشعر العربي فقد أنجبت أرض الهند كثيرا من الشعراء المفلقين الذين أبرزوا براعتهم في تذوقهم اللغة العربية وصاغوا انطباعاتهم وأفكارهم في قالب الشعر العربي وضاهوا كثيرا من شعراء العرب في عصرهم ولكنهم لم يبلغوا مدى ما بلغه شعراء العرب من حيث أن كلامهم العربي لا يخلو من العجمية ما ينقص قيمتهم الفنية إذا أنهم لم يقدروا على التعبير العربي وأسلوبه الخالصن لأن المعرفة بقواعد لغة ليست دليلا على اتقان التعبير بأسلوب يشبه أسلوب صاحب اللغة وتعبيره، وإنما يحتاج ذلك إلى دراسة متواصلة لأساليبها وتتبع عميق لطرق تعبيرها المختلفة، وكذلك لأن العصر الذي بدأ فيه أهل الهند في إنشاد الشعر العربي هو العصر الذي بلغت فيه الآداب العربية إلى درجة الانحطاط والركود والجمود في البلاد العربية، حيث كثر استعمال الصنائع والبدائع اللفظية، وقل ابتكار المعاني الجديدة، فكيف يرجى من أهل الهند أن يصونوا أنفسهم من هذا التقليد ويقدموا نوعا جديدا من الابتكار .

ومع ذلك (ذلك) كله فإن الكلام العربي الذي أنشأه هؤلاء الشعراء الهنود قيم جدا، ولا يحط من قيمته أنهم بذلوا عنايتهم إلى تحسين الألفاظ واستعمال التجنيس والاشتقاق في أشعارهم بكثرة، لأنهم ابتكروا أفكارا كثيرة، واستخدموا أساليب جديدة ، وهكذا أضافوا إلى ثروة اللغة العربية وآدابها بشعر رقيق رائق مع نوع من التجدد في ألفاظ رشيقة ومعاني دقيقة .

- ومما لاشك فيه أن غلام علي آزاد من أهم و أعظم الشعراء الذين أنجبتهم أرض الهند لأنه فاق جميع الشعراء الهنود الذين قرضوا الشعر باللغة العربية في جودة شعره وكثرة دواوينه والطابع الهندي فيه بتأثير اللغات الهندية والفارسية والسنسكرتية ، فقد أوجد في شعره معان كثيرة نادرة لم يتيسر مثلها لأحد من الشعراء المفلقين ، وأبدع فيه مخالص لم يبلغ مداها فرد من الفصحاء المتشدقين ، ولذلك كان آزاد يقتدر على الأدب الفارسي والهندي مثل اقتداره على الأدب العربي ، فاستطاع بذوقه ووجدانه أن يمزج بين هذه الآداب ويقدم نموذجا جميلا لمزيج أدبي لطيف ، فأدخل في الشعر العربي قوالب الشعر الفارسي وأساليب الشعر الهندي والسنسكرتي ، وكذلك استخدم فيه المحسنات اللفظية

والبدائع الكلامية من هذه الآداب ، وكان آزاد شاعرا موهوبا يبتكر المعاني ويبدع الأفكار ويقدم أمام القراء تصويرا واضحا لما يتدفق به قلبه من عواطف ووجدان ، ويعبر عن مشاعره وأحاسيسه تعبيرا دقيقا ، فقد ترك عشرة دواوين من الشعر العربي كما أنه رتب مجموعات عديدة لقصائده العربية في مختلف الموضوعات .

فإذا قلنا إن بلاد الهند لم تنجب في أي عهد من عهود الفن والثقافة شاعرا له يد في الشعر العربي ويتصف بغزارة مادته الشعرية وكثرة كلامه مثل ما كان آزاد فلا نبعد من الحق ، لأنه كان شاعرا عظيما من شعراء الهند ، عظيما في معناه كما كان عظيما في لفظه ، مبدعا في أسلوبه كما كان مبتكرا في بحوره ، ولا نجد أحدا يماثله من الشعراء الهنود الذين جاؤا قبله والذين أتوا بعده ، فإنه أحق أن يعد أعظم الشعراء كما هو أحق أن يلقب بحسان الهند .

ولكن الذي يثير الحيرة والاستعجاب عندي أن شاعرا عظيما مثل آزاد لم ينل العناية التي يستحقها من قبل المحققين والباحثين عن الانتاجات الأدبية في شبه القارة الهندية مع أنه كان من أبرز وأعظم شعراء الهند في اللغة العربية ولانجد أحدا من هؤلاء يقومون بدراسة تحليلية ونقدية مبسوطة لشعره حتى نطلع إخواننا العرب على قريحته الشعرية وبراعته الفنية التي يمتاز بها بين الشعراء الهنود ، اللهم إلا بعض المقالات والمنشورات التي تلقي ضوءا على مساهمته في الأدب العربي في الهند ، وكذلك قام الدكتور فضل الرحمن الندوي بتحقيق كتاب آزاد الشهير " سبحة المرجان في آثار هندوستان " الذي يعد جهدا قيما في ذكر خدمات أهل الهند المسلمين في اللغة العربية ، وفي وصف ناحية كبرى من مساهمة الهند في العلوم الإسلامية .

وعلى أية حال إنني حاولت في هذا البحث الوجيز أن أقدم أمام القراء - ولاسيما إخواننا العرب - جميع نواحي حياة آزاد العلمية والأدبية حتى تتجلى عظمته ومكانته المرموقة في تطوير الآداب العربية في هذه البقعة من الأرض ، وقد استقاد لي أن أقسم هذه الرسالة إلى مقدمة وثلاثة أبواب ، فاما الباب الأول فقد قسمته إلى ثلاثة فصول : وفي الفصل الأول ألقيت نظرة عابرة على الأوضاع الاجتماعية والسياسية والعلمية السائدة في

عهد آزاد ، وفي الفصل الثاني تحدثت عن تاريخ وأهمية قرية بلكرام التي كان آزاد ينتمي إليها، والفصل الثالث يحتوي على نبذة من حياة آزاد .

وأما الباب الثاني فهو أيضا يشتمل على ثلاثة فصول : قد ناقشت في الفصل الأول مساهمة آزاد في كتابة التاريخ والسير ، وفي الفصل الثاني بحثت بالإسهاب مساهمة آزاد في تطور النثر العربي من خلال دراسة مؤلفاته النثرية في اللغة العربية ، وفي الفصل الثالث تحدثت عن مؤلفات آزاد الفارسية مع الإشارة إلى إنتاجاته في اللغة الأردوية .

وقد قسمت الباب الثالث وهو من أهم الأبواب إلى ثلاثة فصول : فألقيت الضوء في الفصل الأول على مساهمة آزاد في الشعر العربي من خلال دراسة تحليلية لدواوينه ومجموعاته الشعرية ، وفي الفصل الثاني أبرزت خصائص شعر آزاد الفنية والأدبية مع الإشارة إلى القوالب والتعبيرات الفارسية والهندية والسنسكرتية التي كانت غالبة على شعره ، وأوضحت في الفصل الثالث مكانة آزاد المرموقة في تاريخ الشعر العربي في شبه القارة الهندية .

وربما لايكون من المغالاة في الاعتراف بأن الموضوع الذي تناولته للبحث هو موضوع طويل متشعب وقد لايمكن لي أن أؤدي حقه في هذه الأطروحة الوجيزة التي لاتجاوز مأة وعشرين صفحة لأن دراسة ادب آزاد إنما تحتاج إلى تاليف مجلدات ضخمة ، ومع ذلك حاولت بقدر استطاعتي أن يكون هذا العمل أقرب إلى الكمال ، وقد واجهت في إعداد هذه الأطروحة صعوبات جمة ، لأن المواد المتعلقة كانت منتشرة في مكتبات شتى في صورة مخطوطات قلمية ، وبقدر استطاعتي استفدت من بعض المكتبات وأخص بالذكر مكتبة دارالعلوم لندوة العلماء بلكناؤ ومكتبة جامعة عليجراه الإسلامية وترددت على هذه المناهل العلمية عدة مرات ، وكذلك حملت مشاق السفر إلى قرية بلكرام التي هي موطن ومولد آزاد وزرت بعض الأطلال التي تقدم لنا صورة لعظمة هؤلاء العلماء والفضلاء الذين قطنوا هذه القرية القديمة وقابلت مع بعض من بقي من سلالة السادات الواسطية وغيرهم، ومن هنا أقدم الشكر الجزيل والامتنان الكريم إلى الأخ نفيس أحمد الندوي الذي بسط إلي مساعدته التامة بكل إخلاص وترحيب كلما زرت بلكرام .

وبمناسبة هذا المكان يجب أن أبدي مشاعر الشكر والامتنان تجاه الأصدقاء الذين ساعدوني في إعداد هذه الرسالة بكل ما تيسر لهم وأخص بالذكر منهم زميلي وأخي شفيع أحمد هاشم الندوي في جامعة جواهرلال نهرو وعزيزي الأخ راشد كمال الندوي في دارالعلوم لندوة العلماء وصديقي الأخ سماء الدين ذيشان في الجامعة المليـة الإسلامية وصديقي الأخ قمر الدين القاسمي في جامعة عليجراه الإسلامية ، وكذلك أقدم الشكر إلى الأخوين محمد أجمل و معين الحق الذين قاما بطباعة الأطروحة على الكمبيوتر بكل سرعة واهتمام .

وأخيرا وليس بآخر أخص بالشكر والامتنان استاذي البروفيسور محمد اسلم الاصلاحي الذي أشرف على مسار الرسالة بجدية واهتمام و لم يدخر وسعا في تقديم مساعدات غالية وآراء سديدة للوصول إلى النتائج الإيجابية ، وشجعني بين حين لآخر على تذليل العقبات والعراقيل ، فأدعو الله أن يمتعه بدوام الصحة والعافية ، ويتيح لنا فرصة طويلة للاستفادة من علمه وفضله ونصحه .

وهذا جهد متواضع قمت به لإعداد هذه الأطروحة لنيل شهادة ما قبل الدكتوراة، وأدعو الله أن يكلله بقبول حسن وهو العلام القدير .

محمد عبد الله وسيم

٢٠ / ٧ / ١٩٩٨ م

الباب الأول

غلام علي آزاد – عصره – وحياته

الفصل الأول : الأوضاع الاجتماعية والسياسية والعلمية في عهد آزاد

الفصل الثاني : قرية بلكرام : تاريخها وأهميتها

الفصل الثالث : نبذة من حياة آزاد

الفصل الأول :

الأوضاع الاجتماعية والسياسية والعلمية في عهد آزاد

لقد أنجبت أرض الهند عددا كبيرا من العلماء والأدباء والشعراء الذين استخدموا اللغة العربية كوسلية لمساهمتهم في مختلف مجالات العلوم الإسلامية من التفسير والحديث والفقه والمنطق والفلسفة والتاريخ والسير كما أنهم أضافوا إلى ثروة اللغة العربية وآدابها الثمينة بمؤلفاتهم في الأدب والنحو والصرف البلاغة، وفضلا عن ذلك إنهم قرضوا شعرا عربيا خالصا يضاهي أشعار العرب العرباء ويتدفق بالنشاط والقوة والحيوية كما يتضمن معاني وأفكارا مبتكرة في أساليب جديدة متجددة، ومما لاشك فيه أن غلام على آزاد البلكرامي من أبرز هؤلاء الأدباء والشعراء إذ أنه يحمل راية الأدب والشعر إلى رفعة جديدة وكذلك يحظى بمنزلة عالية في التاريخ والسير . ولكن قبل أن نخوض في مساهمته في العلم والأدب يبدو من الملائم أن نقوم بتحليل الأوضاع الاجتماعية والسياسية والعلمية التي كانت تسود عهد آزاد وما قبله.

لقد ولد آزاد في عهد كانت فيه الدولة التيمورية تميل إلى انحطاط بعدما تألق نجمها لمدة تقرب من قرنين من سنة ٩٢٣هـ / ١٥٢٦م حينما أسسها الملك بابر إلى سنة ١١١٨هـ / ١٧٠٧م حينما توفى أورنك زيب، "وهو آخر ملك في السلسلة المغولية وهو الذي بلغ الحكم المغولي في عهده إلى الذروة، والذين تولوا بعده السلطة من هذه الأسرة ما كانوا على مستوى عال في القوة والشكيمة وفي النظم والإدارة، ولم يحسوا الخطر الذي دهم حكمهم من القوات الاستعمارية من الإنجليز والفرنسيين والبرتغال التي كانت تدب دبيب الأخطبوط وكانت تمص الدماء التي كانت تجري في عروق الدولة التيمورية، فبدأ الحكم المغولي يضعف وينهار حتى سقط أخيرا في سنة ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م" [١] .

---

[١] أيوب الندوي : الصحافة العربية في الهند : نشأتها وتطورها، ص/ ٣١-٣٢

إن الدولة التيمورية حينما كانت في أوجها وذروة كمالها كانت تشجع العلم والعلماء، ولذلك برز عدد كبير من العلماء والفضلاء على ساحة العلم والأدب، وأسهموا في تطوير اللغة العربية التي وجدت- رغم كون اللغة الفارسية لغة رسمية في البلاد - دعما معنويا وماديا من ملوك هذا العهد، وفي هذا الخصوص يكتب الدكتور محمد إسماعيل الندوي : "ما كانت الدولة المغولية على غرار دولة المماليك ودولة الأتراك في رعاية العلوم العربية و فنونها وحماية العلماء و الأدباء والفنانين فحسب، بل فاقت العصور الإسلامية كلها في الهند في المجالين الثقافي والحضاري " [٢]. أما أول عناية بالعلوم العربية في الدولة التيمورية فقد بدأت منذ عصر جلال الدين أكبر (المتوفى ١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م) الذي أمر بترجمة أمهات الكتب العربية إلى اللغة الفارسية الرسمية مثل " وفيات الأعيان " لابن خلكان و "معجم البلدان" لياقوت الحموي و " حياة الحيوان " للدميري و "تاريخ الحكماء" للشهرزوري و "الجامع الرشيدي" ، وكذلك ترجم القصص العربية أمثال "ليلى والمجنون" و " بلقيس وسليمان " [٣] .

وفي عصر السلطان محي الدين أورنك زيب عالمكير (المتوفى ١١١٨هـ/ ١٧٠٧م) قد بلغ الحكم الإسلامي في الهند ذروة القوة والاتساع والامتداد حيث أنه ضم الهند كلها من حدود بورما إلى أرض أفغانستان تحت سلطانه، وهذا أمر لم يسبق له مثل من قبل ولا يضاهيه عصر من عصور الملوك الهنود في اتساع الدولة وطول مدة الحكومة معا ، وكذلك في عصر أورنك زيب نالت العلوم العربية والإسلامية عناية خاصة بدون سابق مثال في تاريخ المسلمين أجمع بالهند، فقد ازدهر العلم والتعليم في عهده ازدهارا باهرا لأنه بنفسه كان محبا للعلم وأهله، فكثرت المدارس في عهده كثرة لم يسبق لها مثيل وهو قد أجرى الأرزاق على العلماء والطلاب ليتفرغوا لدراستهم . و من أجل أعماله أنه أمر بتدوين الفقه الحنفي من جديد وذلك ليكون دستور الدولة الإسلامية في الهند . يكتب الدكتور زبيد أحمد : "إنه كون لتحقيق هذا العمل الجبار لجنة كبرى من أئمة الفقه والعلوم الإسلامية في عصره في رئاسة الشيخ نظام الدين لتدوين هذا الفقه والذي سمي فيما بعد

---

[٢] د . محمد إسماعيل الندوي : تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية : ص: ٢٠٧

[٣] تزك تيمورية : ص/ ٦٢ نقلا عن تاريخ الصلات : ص/ ٢٠- ٢١

بالفتاوى العالمكيرية أو الفتاوى الهندية. و إنه قد بذل أموالا كثيرة على تحقيق هـذا العمـل وننقل فيما يلي كلمات زبيد أحمد التي تلقى الضوء على خدمـات أورنـك زيـب في مجـال العلوم الإسلامية :

"He appointed a committee of learned theologians under the leadership of Shaykh Nizamuddin, to compose a compodium on the Hanafi Fiqh and spent an enermous amount of money om this enterprise . This work is the Fatawah Alamgiri, better known outside India as al - Fatawah al - Hindiah . [4]

وخلاصة القول أن هذا العصر الذهبي من الدولة التيمورية قد أنجب علمـاء أجـلاء في ميادين مختلفة للعلوم والآداب، ولهم إسهامات وافية في اللغة العربية والعلوم الإسـلامية، ونخص بالذكر هنا الشيخ المحدث على بن حسـام الديـن المتقـي صـاحب "كـنز العمـال في سنن الأقـوال والأفعـال" الـذي ولـد في مدينـة برهـان بـور وسـافر إلى الحجـاز وتوطنهـا، والشيخ محمد بن طاهر بن علي الفتنى صاحب " مجمع بحار الأنوار" ، والشيخ أبو الفيـض فيضي الذي لم يكن أديبا بارعـا في اللغتـين الفارسـية والعربيـة فحسـب، بـل كـان شـاعر البلاط في قصر الملك المغولي أكـبروهو الـذي ألـف " سـواطع الالهـام " في تفسـير القـرآن الكريـم بـدون أي كلمـة منقوطـة ، والشـيخ أحمـد بـن عبـد الأحـد السـرهندي (٩٧١-١٠٣٤هـ) المشهور بالمجدد للألف الثاني الذي تزعـم حركـة إصلاحيـة وصوفيـة وأسـس الطريقة المجددية الصوفية، والشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي (٩٥٨- ١٠٥٢هـ) الـذي يرجع الفضل إليه في نشر علم الحديث في شبه القارة الهندية، والشيخ محمود الجونبـوري (٩٩٣- ١٠٦٢ هـ) صاحب "الشـمس البازغـة" الـذي كـان لـه بـاع طويـل في الحكمـة والمعاني والبيان، والشيخ القاضي محب الله البهاري (المتوفى ١١١٩هـ) الذي ألف أهـم كتاب في الأصول وهو "مسلم الثبوت" الذي لا يـزال يعتـبر مـن أهـم المراجـع في أصـول الفقه الحنفي، والشيخ أحمد بن أبي السعيد المعـروف "بملا جيـون " الـذي ألـف كتابـا في تفسير آيات الأحكام باسم " التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية" [5] .

---

[4] الدكتور زبيد أحمد : The Contribution of India to Arabic Literature. ص/ ٢٩

[5] راجع للتفصيل الصحافة العربية في الهند : ص/ ٢٧ - ٣١

ولكن بدأت الدولة التيمورية بعد وفاة أورنك زيب عالمكير تضعف وتنهار، ومما زاد الطين بلة أن الهند واجهت فتنة كبرى عقب وفاته حينما كانت الدولة المغولية تترنح وتميل إلى السقوط والزوال وتتلخص هذه الفتنة في أن الأمير التتاري الشهير بـ " نادر شاه " ملك أفغانستان توغل في الهند، وشن عليها غارات عديدة، وقتل الأبرياء وسفك الدماء، فسالت الدماء مدرارا في عاصمة دهلي، وأشعل فيها النيران، وأحالها إلى ركام، فقد أدت ـ كما يكتب الدكتور محمد إسماعيل الندوي ـ غاراته وسلبه الأموال ونهبه ثروات الهند إلى انحطاط فكري ويأس وتشاؤم لدى المسلمين [٦]، ولذلك نجد أن العلوم والفنون في أواخر عهد الدولة التيمورية قد تسربت فيها آثار الركود والانحطاط واتسمت أساليب علماء الهند في مؤلفاتهم العربية بالتعقيد والعجمة والركاكة، لأنهم تربوا على الولوع بحفظ الهوامش والمتون والشروح للكتب الدراسية فحسب، وابتعدوا كل البعد عن العين الصافي للأدب العربي الأصيل، وعن كتب القدامى الأصيلة في الأدب والفلسفة والفقه وما إلى ذلك، ففقدوا التذوق العربي السليم ، وانهمكوا فيما ليس من الأدب في شئ مثل التلاعب بالكلمات، والتدرب على التعبيرات الصعبة الثقيلة، والإكثار من الخيالات الأعجمية دون فهم أو عمق فيها .

ويصور الدكتور فضل الرحمن الندوي هذه الحالة السيئة في مقالة له فيقول: " وفي العهد الأخير من الدولة المغولية كما كانت آثار الانحطاط ظاهرة على مجالات أخرى من الحياة كذلك كان العلم والحكمة يعانيان بالركود والجمود، ثم إن تعليم القرآن والحديث ـ الذي هو روح الإسلام ـ كان ينحاز من مركز الاعتدال إلى العلوم الذيلية، وقد كانت غصون الفلسفة والحكمة وعلم المعقولات قد امتدت إلى حد أن العلوم الإسلامية الأخرى قد فقدت قوة النمو تحت ظلها و لم يمكن لها أن تكتسب غذاء كاملا لنفسها ـ نعم، إننا نلمس وجهة نظر جديدة في مصنفات الشيخ الملا محب الله البهاري ولكن لا يمكن لنا أن نعتبره رائدا لأفكار ونظريات جديدة " [٧] .

---

[٦] تاريخ الصلات د . بين الهند والبلاد العربية : ص/ ٢٣٧

[٧] د . فضل الرحمن الندوي : بلكرام ، مجله علوم إسلامية ، عليجره ،المجلد السادس ، العدد : ١-٢ ، ص/ ٩٠ ، ننقل هنا العبارة الأصلية وهي كما يلي : مغلون كےاخير دور مين جهاں دوسرى چيزون پر انحطاط كےآثار هويدا تهےوهين علم وحكمت كى

ولكن رغم ضعف الحكم المغولي في الهند ورغم أن ساءت الظروف السياسية والاجتماعية لم يتوقف العلماء المسلمون عن إسهاماتهم في خدمة الدين الإسلامي وفي رفع راية العلم والأدب في هذه الدولة، وأن العمل الإنتاجي في اللغة العربية وآدابها وعلومها لم يتأثر بالظروف القاسية التي عاش فيها العلماء، بل ربما دارت دفتها بقوة أكبر، وسارت عجلتها بسرعة أكثر، ولاشك في أن من أكبر الأحداث التاريخية في نهاية العصر المغولي أن العالم الجليل في هذا العصر وهو الشيخ الملا نظام الدين السهالوي (١٠٩٠ ـ ١١٦١هـ / ١٦٧٩ ـ ١٧٤٨م) قام بتجديد منهج التعليم في المدارس العربية، واشتهر منهجه التعليمي باسم " المنهج النظامي " وأقبل المسلمون على هذا المنهج وطبقوه على مدارسهم في جميع أنحاء الهند بالإضافة إلى البلاد المجاورة للهند مثل بورما وسيلان وأفغانستان وغيرها .

وفي هذا الجو المخيم بالظلام والتشاؤم والتخلف والتزمت لاح في أفق الهند نجم ثاقب وكوكب دري أنار الطريق وفتح العقول وحطم التزمت، وأعاد إلى الإسلام قوته ومجده، وإلى اللغة العربية قوتها وأسلوبها الرفيع وحيوتها، ونعنى بذلك الإمام الشاه ولي الله الدهلوي (١١١٤ـ ١١٧٦هـ/ ١٧٠٢ـ ١٧٦٢م) الذي كان بدون شك أعظم عالم ومحدث وصوفي في بلاد الهند والذي كان يمتاز بنواح عديدة، فهو محدث كبير من المحدثين ذوى الطراز الأول، فقد ألف عدة شروح على المؤطا للإمام مالك وأشهرها باللغة العربية " المسوي في أحاديث المؤطا "، كما قام بدراسة منهج الإمام البخاري وسماه " تراجم صحيح البخاري"، وفي مجال الفقه حاول الجمع بين المذاهب الفقهية الأربعة دون تعصب لمذهب من المذاهب، وإزالة الخلافات والشبهات التي نشأت فيما يتعلق بالفقهاء، ثم وجه عنايته الخاصة إلى التفسير ووضع في أصول التفسير أشهر كتاب سماه " الفوز الكبير "، ولكن أعظم كتاب له والذي يظهر عبقريته الفذة ويسجل اسمه مع المفكرين الخالدين للأمة

لكيرين بهى پٹى پٹائى تهين، قرآن وحديث جنكى تعليم روح اسلام تهى مركز اعتدال سى هٹ كر متعلقات علوم كى طرف مائل هوگئى تهى ، فلسفه وحكمت اور معقولات كى شاخين اس طرح پهيل گئى تهين كه ان كى سائے تلے ديگر اسلامى علوم وفنون قوت نمو كهو چكے تهےاور اپنى غذا پورى طرح حاصل نه كرسكتے تهے. ملامحب الله بهارى كى تصنيفات مين كچه زاويه نگاه بدلا هوا هےمكر آپ انهين نئى نظريات اور افكار كا حامل كسى طرح نهين كه سكتے.

الإسلامية هو "حجة الله البالغة " الذي لا يضارعه كتاب في شرح فلسفة التشريع الإسلامي وبيان أسرار التشريعة في الشريعة والأحكام، يقول الشيخ عبد الحي الحسنى عن هذا الكتاب :

" ولم يتكلم في هذا العلم أحد قبله على هذا الوجه من تأصيل الأصول وتفريع الفروع وتمهيد المقدمات والمبادئ واستنتاج المقاصد" [٨] .

وكذلك أعاد الشاه الدهلوي إلى اللغة العربية رونقها وصفاءها وحيوتها وقوتها في التعبير والبيان، بعد أن تكبدت هذه اللغة ما تكبدت من الخسائر على أيدي المتلاعبين والعابثين الذين تفننوا في الألاعيب والألغاز، وزخارف الكلمات، واختراع الكلمات الشاذة، والتعبيرات العجمية، يقول الشيخ أبو الحسن علي الندوي عن " حجة الله البالغة " : "ومما يجب الإشارة إليه أن هذا الكتاب يتسم بفصاحة العربية وقوة العبارة وانسجامها وبعدها عن السجع البارد وتقليد أسلوب الحريري الذي كان متفشيا في عصره ومصره، وقلما نجا منه مؤلف وكاتب في القرون الأخيرة، وهو يعد بحق المثال الثاني للنثر الطبعي المسلسل والتعبير العلمي بعد مقدمة ابن خلدون في عصور انحطاط العربية وغلبة العجمة والصناعة على الكتاب والمؤلفين في العالم الإسلامي" [٩].

وفي هذا العهد من الانحطاط والانهيار نهض بعض من العلماء واستمروا يخدمون العلم والأدب ويساهمون في تطوير اللغة العربية والعلوم الإسلامية ويشعلون نيران النشاطات العلمية والأدبية وهم لا يبالون الظروف الاجتماعية والسياسية المشئومة السائدة في شبه القارة الهندية ولا يهتمون بالركود والجمود الذي كان يستحوذ على اللغة والأدب، ونخص بالذكر منهم السيد عبد الجليل البلكرامي، والسيد غلام علي آزاد البكرامي، والسيد دلدار على الشيعي المجتهد، والسيد سلام الله المحدث، والشيخ الشاه عبد العزيز بن شاه ولي الله الدهلوي، والسيد عبد العلي بحر العلوم، والعلامة فضل إمام الخير آبادى، وابنه العلامة فضل حق الخير آبادى، والسيد تراب علي، والشيخ محمد

---

[٨] عبد الحيّ الحسنى : نزهة الخواطر : ج ٦، ص/ ٤٠٩

[٩] أبو الحسن الندوي : المسلمون في الهند : ص/ ٣٧

حسن، والشيخ محمد مبين، والسيد ثناء الله البانى بتى، والشيخ حمد الله، والسيد أحمد علي السنديلوي وغيرهم كثير" [١٠] .

هذا، و لم يكن العلم والأدب محصورين في بلدة دهلي التي كانت عاصمة البلاد فحسب والتي قد أنجبت العلماء والفضلاء الذين يعدون أعلام العلوم والمعارف الإسلامية في شبه القارة الهندية مثل الشيخ القاضي عبد المقتدر الدهلوي والشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي والشيخ ولي الله الدهلوي المذكور وغيرهم، فإن بلدة دهلي كانت تعد مركزا ومحورا لجميع النشاطات العلمية والأدبية في شبه القارة الهندية ، ولكن أهميتها ومكانتها لم تبق ـ كما تصرحها الدكتورة رخسانة نكهت اللاري ـ [١١] في العهد الأخير، بل زادت أهمية الحياة الريفية شيئا فشيئا وانتشر أهل العلم والفن في جميع جوانب البلاد .

ومن ثم أصبحت ولاية أودهـ[١٢] مهبطا للعلماء ومركزا للفضلاء، وصارت بلدانها وأريافها موطن عبقريات العلم والدين من مثل جونبور [١٣]، ولكناؤ [١٤]، والقرى التي في جوارهما، يكتب الشيخ عبد الحي الحسنى : " أما بلدة جونبور فإنها صارت مدينة العلم بعد اضمحلال السلطة بدهلي في الفتنة التيمورية، فوفد إليها العلماء من دهلي كما الشيخ أبي الفتح بن عبد الحئ بن عبد المقتدر الدهلوي والشيخ أحمد بن محمد التهانيسري والقاضي شهاب الدين الدولتآبادى وغيرهم، فاشتغلوا بالتدريس، ونشأ من جونبور الأجلاء ، وانتشر العلم في كل ناحية من نواحي الشرق. وأما بلدة لكناؤ فقد استضاءت بجونبور ونشأ منها الأجلاء آخرهم الشيخ نظام الدين السهالوي، ونهض من عشيرته الأجلاء ـ وقد كانت أرض الأودهـ أشهر بلاد الهند وأرفعها منارا للعلم، نهض من كل قرية من قراها خلق كثير من العلماء، أشهرها بلكرام، وهركام، وجائس، ونيوتنى، وكوبا مئو، وأميتهى، وسنديلة، وكاكوري، وخير آباد " [١٥] .

---

[١٠] DR.Zubaid Ahmad : Contribution of India to Arabic Literature , P.30

[١١] الدكتورة رخسانه نكهت اللاري : السيد المرتضى للزبيدي البلكرامي : حيات اور علمي كارنامه ص/ ٢٦

[١٢] الآن يضمها إقليم الولايات المتحدة بشمال الهند

[١٣] مدينة معروفة في إقليم الولايات المتحدة بشمال الهند

[١٤] عاصمة إقليم الولايات المتحدة بشمال الهند

[١٥] عبد الحئي الحسني : الثقافة الإسلامية في الهند : ص/ ١١- ١٠

ومما لاشك فيه أن قرية بلكرام تمتاز من بينها من حيث أنها شهدت نشاطا أدبيا خالصا لم تشهدها أرض الهند من قبل إذ ظهر فيها علماء وأدباء على مرور السنين وتبوأ عدد كبير منهم مكانة كبرى في الأدب العربي وشعره من مثل الشيخ عبد الجليل بن السيد أحمد الحسنى البلكرامي (١٠٧١ - ١١٣٨هـ) جد غلام علي آزاد والذي "كان عالما بارعا في المعاني والبيان والبديع والحديث والتفسير والسير وأسماء الرجال والتاريخ، أما اللغة فلا تسئل ، فإنه كان معدن جواهرها ولجنة عنابرها، وكان يعرف اللغة العربية والفارسية والتركية والهندية أحسن معرفة، ويتكلم بها في غاية الفصاحة ، وينشد في كل منها شعرا مليحا " [١٦]، وكذلك كان ابنه السيد محمد البلكرامي (١١٠١- ١١٨٥هـ) متبحرا في الأدب العربي وشعره، ثم إن السيد محمد يوسف بن السيد محمد أشرف البلكرامي (١١١٦ - ١١٧٢هـ) مشارك الدرس لغلام علي آزاد وصاحب " الفرع النابت من الأصل الثابت " كان قد نال حظا وافرا في الأدب العربي وشعره في كل من اللغة العربية والفارسية، ولا يمكن لنا أن نهمل عن الذكر للشيخ محمد مرتضى الحسيني البلكرامي ثم الزبيدي علما وشهرة ثم المصري وفاة (١١٤٥- ١٢٠٥هـ/ ١٧٣٢- ١٧٩١م) فقد كان فريد عصره بارعا في علم اللغة والأنساب والحديث والتصوف وإنه قد ألف أكثر من ٧٩ كتابا في شتى العلوم والمعارف، ولكن أروع كتبه وأكثرها شهرة و فائدة ومكانة هو " تاج العروس في شرح جواهر القاموس " الذي يعتبر خاتمة المعاجم العربية، وهو مطبوع ومتداول بين رواد العلم واللغة في العالم العربي والإسلامي وغنى عن التعريف والتقريظ .

فإذا كانت قرية بلكرام تحمل هذه الأهمية والمكانة المرموقة في تاريخ العلم والأدب العربي في الهند فإنها تستحق أن ندرس تاريخها بإمعان ونكشف عن نواحيها التي كانت في خفاء .

---

[١٦] نزهة الخواطر : ج ٦ ص/ ١٣٩

الفصل الثاني :

قرية بلكرام تاريخها وأهميتها

إن قرية بلكرام - بكسر الباء - بليدة قديمة في مقاطعة "أودهـ" كانت في القرون الوسطى إحدى المراكز الثقافية الإسلامية من بدء احتلال الطلائع الأولى للمسلمين رحاب القطر الشمالي للهند، وإنها قد أنجبت عددا ملحوظاً من العلماء والفضلاء والشعراء واللغويين والمؤرخين وأهل الحكم والقضاء من عهدها القديم .

وإذا أمعننا النظر في تاريخ بلكرام نجد حكايات مختلفة منتسبة إلى هذه القرية القديمة ووجه تسميتها . يكتب السيد هارنكتن A H. HARINGTON في المعجم الجغرافي لولاية أودهـ :" وفي عهد اضمحلال البراهمة وازدهار البوذيين كانت هذه القرية في سيطرة التهتهاريين (THATHERAS) حتى وقعت نهضة البراهمة غالبا في القرن التاسع أو العاشر المسيحي حين هاجمهم عصابة من الريكواريين (RAIKWARS) في رئاسة الملك سرى رام من قنوج وطاردوهم منها . وهناك أنشأ الملك سرى رام بلدة باسمه "سرى نكر" وحل بها الريكواريون إلى فتح المسلمين - وفيما يلي العبارة الأصلية لها رنكتن :

In the age of Brahmanical depression and Budhist ascendancy, this tract, like the rest of the district, seems to have been held by the Thateras, till, at the period of Brahmanical servival, in proabably the ninth or tenth century A.D., a band of Raikwars under Raja Sri Ram crossed over from Kanauj, and in the usual fashion expelled them. The Ganges then seems to have flowed close under the lofty 'tila' on and around which Bilgram is built, and to have made the site an admirable one for purposes of defence and trade alike. So the Raikwars chieftain founded a woen on it, and called it after his name, Srinagar, and the Raikwars held it till the Muhammadan conquest. [17]

فكانت هذه القرية تسمى "سري نكر " بإضافة الأول إلى الثاني، وكلمة "سرى" كلمة سنسكريتية تستعمل كلقب تشريفي و"نكر" : معناه المستقر، والأغلب - كما

---

[١٧] Gazetteer of Province of Oudh, vol. I. p.318

يصرحه محمد محمود البلكرامي [١٨] . أن سرى بلرام قد أعمر هذه القرية فسماها أهل الهنود باسمه "سرى نكر" من قديم و لم تزل تعرف بهذا الاسم حتى نزل فيها المسلمون وعرفوا وجه تسميتها فبدلوه " ببلكرام" بحذف كلمة "سرى " التي كانت تستعمل تعظيما لبلرام .

ويروي بعض المؤرخين أن بعض الزاهدين والساحرين من كشمير قد نصبوا تمثالا "لبيل ديو" في هذه القرية وكان أهلها يعبدونه وحينما فتح المسلمون هذه القرية طرودوا هذا التمثال منها، فهذه القرية أصبحت تسمى "بيل كرام" بالشبة إلى "بيل ديو" ومعناه "قرية بيل " [١٩] .

ولكن الأستاذ محمود البلكرامى [٢٠] لا يتفق بهذا الرأي قائلا : " إن المسلمين كانوا يستنكرون "بيل ديو" وعبادة تمثاله، وهذا غير طبيعي أن يسمى الفاتح قرية باسم المفتوح . وكذلك ينتسب بعض الناس هذه القرية إلى "بلال" الذي قتل ابنه "الال" على يد سرى بلرام المذكور أخي سري كرشنا كما ذكر في المعجم الجغرافي لأترابراديش :

According to another version, it takes its name from Bilal, whose son, Ilal, was killed by BalaRama, the brother of Krishna. [٢١]

هذا، وأما ورود المسلمين إلى هذه القرية وفتحها ففيه اختلاف كبير بين المؤرخين من أهل بلكرام وغيرهم منذ زمان، وقد كتب حول هذا الموضوع كثير من الشيوخ

---

[١٨] تنقيح الكلام في تاريخ خطه باك بلكرام ج ١ ص ٢٩٤ وفيما يلي نصه :

* اغلب يه هيكه سرى بلرام جى نے اس قصبه كو بسايا ، زمانه قديم كےاصل هنود نےآپ هى كى مناسبت سےاسكا نام سرى نگر ركها جو برابر رائج رها ، جب مسلمان يهان آئےتو انهين سرى نگر كى وجه تسميه دريافت كرنےپر معلوم هوا هوگا كه سرى بلرام جى كےنام پر قصبه كا نام سرى نگر هے ، مسلمانون نے كچه عرصه كےبعد بلا كسى ترميم و تعرف كےلفظ سرى كو جو محض تعظيما بجائے بلرام جى كےشامل كيا كيا تها اس كو بلرام جي كے هي اصل نامم سےتبديل كر كےبجائے سرى نگر كے بل گرام ركها جسكا مطلب هےبلرام جى كى بستى .

[١٩] د. فضل الرحمن الندوي : بلكرام ، مجلة علوم إسلامية ، عليجرة ، المجلد السادس ، العدد ١ / ٢ ص ٩٢٠٩٣ . وفيما يلي العبارة الأصلية له :

* سرى نگر كے جوگيون اور ساحرون نےكشمير سے بيل ديو كا مجسمه لاكر وهان نصب كيا تها اور وهان كے ديگر باشند ے اسكى پوجا كيا كر تےتهے ، جب سرى نگر مسلمانون كےهاتهون فتح هوا تو يه مجسمه آبادي سےدور ہٹا ديا گيا، اسى بيل ديو كى نسبت سےاسكا نام بيل گرام يعنى بيل كا گاؤن كرديا كيا .

[٢٠] تنقيح الكلام ج ١ ص ٢٩٤ .

[٢١] Amar Singh Baghel : Uttar Pradesh District Gazetteers (HARDOI), p.261

والسادات من هذه القرية، وتحول هذا الاختلاف إلى مناظرة قلمية في عهد غلام على آزاد بين السادات والشيوخ العثمانيين والفرشوريين، وهذه الأسرات الثلاث هي التي استوطنت هذه القرية، ويبتدئ تاريخ هذه الأسرات في الهند منذ قدوم القاضي محمد يوسف العثماني إلى بلكرام في سنة (٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م)، فأقدمها طبعا من حيث الاحتلال -كما يكتب الأستاذ أبو محفوظ الكريم معصومي - [٢٢] .

قبائل الشيوخ العثامنة، وكانت إليهم محاكم القضاء والحسبة . ويتلوهم قبائل الشيوخ الفرشورية، وهم من ذرية محمد بن أبي بكر الصديق، كانت إليهم الصلوة والخطابة حسب السجلات العتيقة، ثم نيطت بهم وظيفة الفتيا والتولية في زمن الإمبراطور أكبر، وإن الأشراف الواسطية قدموا إلى بلكرام بعد الشيوخ العثامنة والفرشورية كلتيهما بمأتي سنة .

وقد بدأ الخلاف عن الفاتح الأول لبلكرام حين ذكر غلام على آزاد أن أول من أسعد قرية بلكرام بقدومه الميمون من أكابر الطريقة الخواجة عماد الدين والسيد محمد صغرى وهما قد بايعا الخواجة قطب الدين الدهلوي ومعين الدين الجستي الأجميري [٢٣] .

وسيد محمد صغرى هذا من أجداد آزاد، وقد كتب آزاد في ذكر حياته أن ملك بلكرام سري رام الذي كان حاكما متعصبا وجاحدا قاتل مع محمد صغرى وقتل مع أسرته وجنده . ويضبط تاريخ هذا الفتح كلمتان بالفارسية "فتح خداد" أي المنح الرباني و هو فى سنة ١٤ هـ [٢٤] .

وبسبب هذه العبارات لآزاد ظن الناس أنه يعد محمد صغرى الفاتح الأول لبلكرام، والحقيقة أنه لم يعده الفاتح الأول والقادم الأول إلى بلكرام، بل إنما ذكره من أول من ورد

---

[٢٢] في مقالة له : العلامة مرتضى زبيدي البلكرامي : حياته وآثاره ، مجلة المجمع العلمي الهندي (عليجراه) ج ٥ ، ع ١ / ٢ ، ص ١٣ - ١٤

[٢٣] مآثر الكرام ص ٧ وفيما يلي نص العبارة :

• واول كسى از اكابر طريقت كه به مقدم گرامى بلكرام را شائسته كرام ساخت خواجه عماد الدين وسيد محمد صغرى هردو مريد خواجه قطب الدين دهلوى وجناب معين الدين چشتى أجميري قدس أسرارهم .

[٢٤] أيضا ص ١١ .

إليها من أكابر الطريقة، إن دل هذا على شيء فإنما يدل على وجود المسلمين فيها قبل وروده .

ولكن بعض المؤرخين من الشيوخ العثمانيين والفرشوريين قد شنوا على آزاد غارات قلمية قائلا بأنه متعصب حيث يعد أجداده فاتح بلكرام، ومن أبرزهم الشيخ غلام حسن الصديقي الفرشوري الملقب "بثمين" الذي ألف كتابه المسمى"بشرايف عثماني"[٢٥]في سنة ١١٥٩ هـ واستدرك فيه بعض الوقائع المندرجة في "مآثر الكرام في تاريخ بلكرام" لآزاد، وقد ذكر فيه أن القاضي يوسف بن عاصم العثماني الذي انحدر من سلالة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه هو الذي فتح بلكرام حين انساقت إلى قنوج قوة استطرادية من كتائب السلطان محمود الغزنوي في سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م ، وقد توصل ثمين إلىهذه النتيجة بعد وقوفه على نصوص السجلات القديمة التي كانت في حوزة الأسرات البلكرامية منذ أواسط القرن الثاني عشر للهجرة و اقدم هذه السجلات قد كتب في جمادي الأولى سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٧ م وورد في ختامه النص التالي :

"أقر المقر بما فيه ، كتبه يوسف بن عاصم بن خالد بن داؤد الحاكم بقصبة سري نكر"[٢٦] .

ولعل القاضي محمد يوسف -كما يكتب أبو المحفوظ الكريمي - [٢٧]رافق السلطان محمود أيام هجماته على قطر الهند الشمالي وخاصة في مسيره إلى قنوج وشهد ما جرى بعدها من المعارك بإشراف السالار مسعود الغازي الشهيد في ١٤ / رجب سنة ٤٢٤ هـ في بهرايج، إلى أن تسنى للقاضي أن يفتح بلكرام أو سري نكر ثم خلاله الجو تماما بعد أن هرب مليكها سري إلى جبال "كماون" أو قتل في حومة الوغى .

ولكن المؤرخين الإنجليز لايتفقون على هذه الحكاية ، بل يثيرون الشكوك حول صحتها بناء على تحقيقاتهم العلمية إذ يقولون إنه يمكن أن جنود محمود الغزنوي قد مرت ببلكرام وحل بعض الشيوخ هذه القرية واستوطنوها ، ولكن لا يمكن أن يسلم استيلاءهم

---

[٢٥] توجد نسخة خطية لهذا الكتاب في خزانة المجمع الآسيوي بكلكته وفي مكتبة الجامعة بعليجراه وفي المكتبة الآصفية بحيدر آباد .

[٢٦] نقلا عن مجلة المجمع العلمي الهندي عليجرة المجلد الخامس العدد ١ - ٢ ص ٤ .

[٢٧] أيضا ص ٦ .

إياها ، قد ذكر المؤرخ الإنجليزي ايليوت (Sir .S . M . Elliot) هذا الراى في المجلد الثاني من كتابه " تاريخ الهند " [٢٨] ، وكذلك نعرف من كتاب "مرآت مسعودي" أن السيد سالار مسعود المذكور أعلاه قد مر بهذا المكان في سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣٢ م في حين كان يسافر من قنوج إلى سترك (SATRIKH) [٢٩] .

ويؤيد هذا القول ما ذكره صاحب المعجم الجغرافي لولاية أودة المطبوعة في سنة ١٩٨٥ م حيث يقول:

It is not at all impossible that Srinagar may have been visited and despoiled, as was Kanauh itself, by Mahmud's army. ot that some Sheikhs may have remained behind there, more probably from Sayyed Salar's than from Mahmud's expedition, as was the case at Gopamau and Mallawan; but there could have no political displacement at this date of Raikwars by Muhammadans. [30]

والحقيقة هي أن فتح بلكرام لم يتحقق حتى عصر السلطان شمس الدين ايلتمش حين هاجمت جنوده على بلكرام في رئاسة محمد فقيه العراقي والسيد محمدصغرى في سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م ،فصارت بلكرام تماما إلى حوزة النظام الملكي القائم بدهلي القديمة إثر الفتوح المتعاقبة التي امتاز بها شهاب الدين الغوري الفاتح وقواده . يكتب الأستاذ هارنكتن :

The campaign of Shahabuddin Ghori in 1193 A.D. and the fall of Kanauj must have shattered the power of the petty 'rajahs' on the Hardoi bank of the Ganges, so that when, a generation later, in 1217 A.D., Shams-ud-Din Altamash poured in his troops to complete subjugation of the country, only a feeble resistance can have been made. Two Muhammadan captains seem to have reduced Srinagar and the country around it, Sheikh Mohammed Faqih of Iraq and Sayyed Mahmud Sughra, ancestor of the taluqdars of Bilgram. [31]

ويؤيد هذا أيضا ماكتبه صاحب "المعجم الجغرافي" للهند حيث يقول :

The Raikwars in their turn were ousted by the Muhammadans about 1217 A.D. [32]

---

[٢٨] The History of India as told by its own historians .

[٢٩] حيات جليل : مقبول أحمد صمدني ج ١ ص ٤٥ .

[٣٠] Gazetteer of Province of Uodh, vol.I, p.318

[٣١] Gazetteer of Province of Oudh, vol.I, p.319

[٣٢] The Imperial Gazetteer of India, vol.VIII, p.235

وبما أن هؤلاء المؤرخون الإنجليز لم يكونوا ينتمون إلى بلكرام فلا يمكن أن تسرى إليهم أية عصبية في انتساب هذا الفتح إلى أحد من آبائهم، فمن هنا ثبت أن فتح بلكرام قد تحقق على يد السيد محمد صغرى والشيخ فقيط العراقي وغيرهما من أصحال الكتيبة من جند السلطان ايلتمش ، واستولى المسلمون استيلاءا كاملا على هذه القرية واستوطنوها حتى أصبحت الوطن الأصلى لهم، وقد ذكر العلامة عبد الجليل البلكرامي وقائع الفتح في منظومة فارسية حيث قال :

جدِ كلان محمد صغرى كه تيغ او بر بلگرام يافته فتح و مظفرى

فتوح گشت در زمنِ شاه التمش تاريخ آن ز لفظ "خداداد"بشمري [٣٣]

أى جدنا الأعلى محمد صغرى فتح بلكرام عنوة وتمتع بالظفر، قد وقع ذلك في زمن السلطان ايلتمش فاطلب تاريخه من لفظ "خداداد" .

TH-7851

ولاريب في أن هذه القرية مازالت ولاتزال تحمل أهمية عظيمة منذ قديم الزمان في مختلف نواحي الحياة، فهذه البقعة من الأرض إذا كانت من جانب مركزا علميا وأدبيا فكانت من جانب آخر مركزا تجاريا وثقافيا، وكما كانت محور توجهات الغازيين المسلمين في العهد القديم لقربها من "قنوج" فكذلك زادت أهميتها في العهد المغولي لوقوعها بين دهلي عاصمة الهند ولكناؤ عاصمة أودهـ، وكان علماؤها وفضلاؤها أصحاب عظمة وكرامة في بلاط مختلف الملوك ، فنظرا إلى هذه الحقيقة يكطم لنا أن نحكم بأنه كانت قرية بلكرام تحتل مكانة مرموقة في الأوساط العلمية والأدبية آنذاك، يكتب عن السادات البلكراميين نعمت خان عالي (م١١٢١ - ١٧٠٩م) أنهم ذوى الاحترام ومثلهم مثل لوح المسجد أو ورق القرآن لايمكن أن يهدم أو يباع، وفيما يلي العبارة الأصلية له :

سادات بلكرام في الواقع ذوى الاحترام اند جون تخته مسجد وورق قرآن، نه لائق سوختنى نه قابل فروختنى [٣٤] .

DISS
928"10, J26
28N8

---

[٣٣] مآثر الكرام : ص/ ٧١-٢٧٠

[٣٤] نقلا عن مجلة علوم اسلامية عليجرة المجلد السادس العدد ١، ٢ ص/ ١٠٩

ويكتب عن بلكرام أبوالفضل العلامي في كتابه المشهور "آئين اكبري" أنها بلدة هواءها طيب وأغلبية أهلها أصحاب الذكاء ومحبون للموسيقي، وفيها بئر من شرب منها زادت بصيرته، وفيما يلي نص ما قال :

بلگرام قصبه ايست خوش هوا، بيشتر مردم آن خوش فهم و سرودرا، و دران جا چاهے است كه هر كه چهل روز آب از او برآشامد شناسائی وحسن منظر افزايد[٣٥] .

وكذلك يمدح آزاد بلدة بلكرام بأنها مقر العلماء والفضلاء منذ قديم الزمان حيث يكتب : در صوبه اودهـ محروسئه بلگرام از قديم منشائے علماء كرام ومظهر علمائے عظام است، وفراوان دانشمند از اين شهر برخاسته ومجلس افاده واستفاده به كمال خوبی آراسته [٣٦] .

وذكر الدكتور جي - سى - وليمس (J . C . Williams) في تقرير الإحصائية الأولي (First Census Report) أن العلم والفضل لأهالي بلكرام معروف منذ زمن بعيد وهم قد ألفوا تاليفات عالية في التاريخ والفلسفة والنظم [٣٧] .

ويكتب المستشرق الألماني بلوخ من (G . H . BLOCHMANN) أن بلكرام كانت مركز العلوم والفنون للمسلمين منذ عهد " أكبر " [٣٨] .

فالعبارات السالفة الذكر كلها تدل على أن بلكرام كانت بلدة قديمة ذات أهمية عظيمة وقد جاء بذكرها السياحون الإنجليز وأثنوا عليها كل الثناء [٣٩]، وكذلك يستدل على أهميتها بأن أورنك زيب عالمكير الملك المغولي قد زارها بنفسه وأقام فيها [٤٠]، فأصبحت هذه البلدة لأجل مركزيتها مرجعا للعلماء الفضلاء، ولاسيما في عهد الملك

---

[٣٥] أبو الفضل العلامي : أئين أكبرى ج ٢ ص/ ٧٩ مطبعة نول كشور لكناؤ ١٨٨١ م

[٣٦] مآثر الكرام : ص/ ٢٢٣

[٣٧] حيات جليل : ج ١ ص/ ٤٨

[٣٨] نقلا عن حيات جليل : ج ١ ص/ ٥٦(J. H. BLOCHMANN : JOURNAL 152 : 2)

[٣٩] يمكن أن يراجع للتفصيل حيات جليل ج ١ ص/ ٦٤- ٥٦ ومجله علو اسلاميه : ص/ ١١٩- ١١٤والمرتضى زبيدى بكرامى تاليف رخسانه نكهت لارى ٤٠- ٣٧

[٤٠] مجلة علوم اسلاميه : ص/ ١١٣ .

المغولي أكبر ازدادت أهميتها ومكانتها العلمية، وأصبح الناس يعترفون بالعظمة الدينية والدنيوية للسادات البلكراميين، وما عدا هؤلاء السادات تولد فيها علماء وعظماء ممن أثبتوا جدارتهم في مختلف شؤون الحياة وخاصة في العلم والأدب ونخص بالذكر هنا بعضا منهم بمنتهى الايجاز .

لقد كثر في بلكرام العلماء والأدباء والفضلاء و الشعراء، ومن أبرز هؤلاء العلماء وأهمهم القاضي أحمد الله البلكرامي [٤١] الذي كان ماهرا في الفقه والحديث و لم يكن له نظير في عهده في هذه العلوم وكان متربعا على مسند القضاء في بلكرام حتى سنة ١١٩٦هـ . ومنهم السيد جان محمد البلكرامي (١٠٨٣- ١١٤٥) [٤٢] الذي كان ابن عم السيد عبد الجليل البلكرامى لقد من الله سبحانه عليه بالمنصب والأقطاع والوجاهة العظيمة والقبول التام عند أهل البلدة والعلم والفضل وفي أواخر عمره خرج من بلكرام متوجها إلى "بغداد" و " سر من رأى " و "نجف" و "كربلا" و "طوسى"، ثم إلى البلد الحرام فحج وزار الأماكن المقدسة وسكن المدينة المنورة متيمنا للموت حتى توفى سنة ١١٤٩هـ .

ومنهم السيد عبد الجليل البلكرامى جد آزاد (١٠٧١- ١١٣٨)[٤٣] الذي كان له باع طويل في العلوم الدينية لاسيما في التفسير والحديث والسير وأسماء الرجال وتاريخ العرب والعجم، أما اللغة العربية فحسابها في بنانه وكان القاموس على لسانه، أما الأدب فهو معدن جواهره ولجنة عنابره، كان متضلعا من العربية والفارسية والتركية والهندية،

---

[٤١] راجع لحياته تذكرة علمائے هند : مولوى رحمن علي ترجمه محمد ايوب قادرى : ص/ ٩٧ .
وكذلك Persian Literature : by C. A. Storey , vol. 1, part 2, page 1115

[٤٢] راجع لحياته تذكرة علمائے هند ص/ ١٤٤ ، مآثر الكرام ص/ ٨٤- ٢٧٧ ، حدائق الحنفية : فقير محمد جهلمى ص/ ٤٢- ٤٤١ ، أبجد العلوم : صديق حسن خان ص/ ١٢٢ ، عبد الحئ الحسنى : نزهة الخواطر ج ٦ ص/ ٥٤-٥٥ ، وصى الحسن الواسطى : روضة الكرام شجرة سادات بلكرام ص/ ١٩٦-٩٧ .

[٤٣] مقبول أحمد صمدني : حيات جليل ، نزهة الخواطر : ج ٦ ص/ ١٣٩ ؛ تذكرة علمائے هند ص/ ١٠٨- ١٠٩ ، مآثر الكرام ص/ ٢٥٧- ٧٧ ، حدائق الحنفية ص/ ٤٣٧ ، آزاد : خزانه عامرة ص/ ٣٥٢ ، سبحة المرجان ج ١ ص ٢٠٥ ، أبجد العلوم ص/٩٠٧ - ٩٠٨ ، عبد الحئ الحسنى : الثقافة الإسلامية في الهند ص/ ٤٥ ، وصي الحسن الواسطى : روضة الكرام ص ١٨١- ٩٦، وكذلك Persian Literature : by C. A. Storey , vol. 1, part 2, page 712

كان يتكلم بهذه اللغات الأربع بمنتهى الطلاقة ويقرض الشعر فيها في غاية الجودة والرشاقة.

ومنهم السيد محمد بن عبد الجليل البلكرامى (١١٠١- ١١٨٥)[٤٤] الذي كان عالما كبيرا في زمانه وقد تلمذ على يديه العلامة غلام على آزاد وكان شاعرا باللغة العربية والفارسية معا، وقد تولىمهمة تحرير السوانح وبعمل بخشكرى في بلدة "بكر" و "سيوستان" مقام والده في عهد فرخ سير، وله كتاب بالعربية معروف باسم "الجزء الأشرف من المستظرف" .

ومنهم السيد أوحد الدين العثماني البلكرامى (م ١٢٨١هـ) [٤٥] الذي يعد من كبار علماء الهند ومن الشعراء المجيدين، كان كثير الكتابة باللغتين العربية والفارسية، وله مصنفات عديدة، منها: "روضة الأزهار" التي تشتمل فنون شتى، و "مفتاح اللسان" في الأساليب والأمثال العربية، و "تذكرة شعراء العرب" و شرح على "قصيدة بانت سعاد" وشرح على "ديوان المتنبى" وشرح على "مقامات الحريرى" ومن أهمها "نفائس اللغات" في المفرادات الهندية باللغة الفارسية .

ومنهم السيد عبد الواحد بن ابراهيم الواسطى البلكرامى الشاهدى (م ١٠١٧هـ)[٤٦] الذي كان أحد العلماء البارزين في المعارف الإلهية وصاحب الفضائل العالية والكرامات الجليلة والأذواق الصحيحة والمواجيد الصادقة، من بدائع تأليفاته شرح "كافية ابن الحاجب" إلى بحث "غير المنصرف" و "سبع سنابل" وشرح بسيط على " نزهة الأرواح" و "شرح مصطلحات ديوان الحافظ" .

ومنهم السيد محمد يوسف بن أشرف الواسطى البلكرامى (١١١٦ - ١١٨٢هـ)[٤٧] حفيد السيد عبد الجليل الذي كان - كما يقول آزاد في سبحة المرجان -

---

[٤٤] نزهة الخواطر : ج ٦ ص/ ٢٦١ مآثر الكرام : ص/ ٩٦- ٢٩٣ ، تذكرة علمائے هند : ص: ٢٢٩ ، روضة الكرام ص/ ١٩٧- ٩٨، سرو آزاد ص/ ٢٨٩-٩١ .

[٤٥] نزهة الخواطر ج ٧ ص/ ٨٩-٨٨ ، الثقافة الإسلامية في الهند : ص ٤٨ ، تذكرة علمائے هند ص ١٢٦

[٤٦] نزهة الخواطر ج ٥ ص/ ٦٤-٢٦٣ ، مآثر الكرام : ص/ ٢٥- ٣٣ ، تذكرة علمائے هند ص ٤٢٩

[٤٧] نزهة الخواطر : ج ٦ ص/ ٤٢٤ ، سبحة المرجان : ج ١ ص: ٢٦٢ - ٢٥٧ ، مآثر الكرام : ص ٩٨ - ٢٩٦ ؛ أبجد العلوم ص/ ٩١٨، تذكرة علمائے هند ص/ ٤٨٣، روضة الكرام ص/ ١٩٨-٢٠٠ .

"قسطاس المعقولات ونبراس المنقولات، علمه الله من تأويل الأحاديث، وأدار عليه كؤوس العناية بالثنية والتثليث، أنا وهو رضيعا لبان وغصنا بستان، كنا نرتع برهة في جنة الوطن حتى استهل غراب البين وقرب منا بعد المشرقين فأقام هو بالوطن ورمانى الدهر إلى الدكن " ، كان شاعرا جيدا باللغة العربية والفارسية، وله كتاب "الفرع النابت من الأصل الثابت" في التوحيد الشهودي.

ومن أبرز أكبر العلماء الذين تولدوا في هذه القرية هو الشيخ محمد مرتضى بن محمد الحسينى البلكرامى ثم الزبيدى علما وشهرة ثم المصري وفاة (١١٤٥-١٢٠٥هـ) [٤٨] كان نادرة عصره بارعا في علم اللغة والأنساب والحديث والتصوف وكان أحد مشاهير المحققين وفحول الأدباء المؤلفين، كان قد أقام في زبيد باليمن مدة من عمره ثم قضى آخر حياته في مصر ومن هنا بدأ الناس ينتسبونه إلى زبيد، كان شاعرا مفلقا وكاتبا مكثرا في اللغة العربية، وله مصنفات عديدة وقد ذكرت الدكتورة رخسانه نكهت لارى ١٥٩ من مؤلفاته، ولكن أشهرها وأهمها "تاج العروس في شرح القاموس" في عشر مجلدات وهو أصلا شرح للقاموس للفيروز آبادي، وهذا الكتاب يدل على علو كعبه ورسوخ قدمه في علم اللغة، وهو مطبوع ومتداول بين رواد العلم واللغة في العالم العربي والإسلامي وغني عن التعريف والتقريظ والتقديم .

هذه هي صورة بلكرام التي كانت قرية خصبة بالنسبة إلى إنجاب العلماء والعظماء في العلم والفضل والإمارة والصيت، أما الآن فقد أصبحت كأية قرية من آلاف القرى في الهند لايسمع لها صيت ولاينشد لها بيت، وحينما زرت هذه القرية لم استطع أن أعترف بأنها هي القرية التي تولد فيها هؤلاء العباقرة الذين تألقوا كنجوم لامعة في سماء العلم والأدب، لأن العلم والإقبال الذين كانا من ميزتها البارزة قد تغيبا في ظلام الجهل والخفاء،

---

[٤٨] نزهة الخواطر : ج ٧ ص/ ٤٧٠ - ٤٧٩ ، أبجد ا لعلوم : ص/ ٧٠٨ - ٧٢١ ، حيات جليل ج ١ ص/ ٢٣، عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ج ١٢ ص/ ١٢، صديق حسن خان : اتحاف النبلاء : ص/ ٤٠٧ ، خير الدين الزركلى : ج ٧ ص/ ٢٩٧ ، الدكتورة رخسانه نكهت لارى : سيد مرتضى زبيدى بلكرامى : حيات اور علمى كارنامے ، مجلة المجمع العلمى عليجرة ج ٥ ع ٢،١ ص/١-٨٧ ، وكذالك Persian literature : by C . A . Storey , vol. 1 , part 2 , page 142 ، وأما غلام على آزاد فقد ذكره باسم " محمد مقتدى" - كما كان معروفا في مولده وأسرته - في ختام ترجمة جده السيد محمد قادرى في مآثر الكرام : ص/١٤٩ .

وتجمدت النشاطات العلمية والثقافية، وتخمدت نيران الدراسة والتدريس، فأصبح أهلها يتناسون عظمة آبائهم وينصبون في تيارات الحياة بدون تفكير علمى أو تنشيط عملي .

أما التفصيلات الجغرافية لبلكرام فإنها مقاطعة (TEHSIL) واقعة بجنوب غربي المديرية " هردوى" في إقليم اترابراديش وهذه المقاطعة تشتمل على قرى "بلكرام" و "كتيارى" و "ملاوان" و "كاشاندو" وتمتد إلى ٥٩٦ مربع ميل كما ذكر في المعجم الجغرافي للهند وفيما يلي نصه :

(Bilgram is) South - western Tehsil of Handri district, United Province, comprising the parganas of Bilgram, Sandi, Latiyari, Mallawan and Kachandau, with an area of 596 square miles. [49]

وقرية بلكرام التي هي مركز المقاطعة المسماة ببلكرام نفسها تقع في عرض البلد ٢٧ء١١ شمالا وطول البلد ٨٠ء٢ شرقا على الشاطئ المرتفع لنهر كنكا (Ganga) على مسافة ٢٦ كيلومترا تقريبا في جنوب غربى هردوى وننقل فيما يلي ما ذكر في المعجم الجغرافي لأودهـ :

Bilgram , the headquarters town of the tehsil of the same name, lies in Latitude 27 11' North and Longitude 80.2' East, on the old high bank of Ganga, about 26 km. south-west of Hardoi.[50]

ومع أن بلكرام قد فقدت مكانتها العلمية والثقافية اليوم، ولكنها إلى الآن تعد مركزا تجاريا وعلميا للقرى والمقاطعات المجاورة لها لأنها محيطة بمديرية " فرخ آباد" (FARUKHABAD) في الغرب ومقاطعات " شاهآباد" (SHAHABAD) و "هردوى" (HARDOI) في الشمال ومقاطعة سنديلة (SANDILA) في الشرق ومديرية أناؤ (UNNAO) في الجنوب .

---

[49] The Imperial Gazetteer of India, vol. VIII, p. 234-5

[50] Uttear Pradesh District Gazetteer (HARDOI) by Amar Singh Baghel, p.260

الفصل الثالث :

نبذة من حياة آزاد

ولادته ونسبه : ولد غلام علي آزاد في ٢٥ من صفر يوم الأحد سنة ١١١٦هـ/ ٢٩ من يونيو ١٧٠٤م، ولاندرى كيف ذكر السيد عبد الحي الحسني تاريخ ولادته بأنه ولد سنة ١١١٠هـ [٥١]، لأن جميع المؤرخين أدرجوا سنة ولادته عام ١١١٦هـ وإن آزاد بنفسه كتب هذا التاريخ في جميع الكتب التي رسم فيها نبذة من سيرته الذاتية ولاسيما في "سبحة المرجان في آثار هندوستان" حيث يكتب : " أولا ني الله خلعة العناصر وأرانى بعناية عالم المظاهر في الخامس والعشرين من صفر يوم الأحد سنة ستة عشر ومأة وألف بمحروسة بلكرام وطويت منازل الصبا ودخلت مسارح الشباب في هذا المقام " [٥٢]، وكانت ولادته في محلة ميدان بورا بمحروسة بلكرام التي تقدم ذكره .

كان آزاد ينتمى إلى السادات الحسينية الواسطية نسبة إلى أبى الفرح الواسطى الذي كان يسكن في واسط وهي "مدينة قديمة في العراق بين البصرة والكوفة، وأنشأها الحجاج بن يوسف وجعلها قاعدة للعراق" [٥٣]، وكان أبو الفرح ينتهى نسبه إلى عيسى مؤتم الأشبال بن زيد الشهيد بن زين العابدين بن حسين بن على بن أبى طالب - رضي الله عنه - وكان قد خرج مع أبنائه الأربعة - السيد أبى الفراس والسيد أبى الفضائل والسيد داؤد والسيد معز الدين- إلى غزنين، ثم إنه أحس بالملل من سلوك أهلها فانصرف عنها راجعا إلى واسط مع ابنه السيد معز الدين، بينما أبناءه الثلاثة الآخرون استأذنوا أباهم فرحلوا إلى بلاد الهند، فورد السيد أبو الفراس جد السادات البلكرامية إلى جاجنير [٥٤]، ثم من رهط السيد أبى فراس قدم السيد محمد صغرى إلى بلكرام وارتضاها

---

[٥١] نزهة الخواطر : ج ٦ ص/ ٢٠١

[٥٢] سبحة المرجان : ج ١ ص/ ٩٩-٢٩٨

[٥٣] لويس عجيل : المنجد في الأعلام ص/ ٦٠٩ مطبوعة دار الشرق، بيروت ١٩٨٦

[٥٤] جاجنير (JAJNER) قرية قديمة في البنجاب قطن بها السيد أبو فراس مع ذريته .

للتوطن [٥٥]، وكان السيد محمد صغرى ممن صحب الشيخ الكبير قطب الدين بختيار الكعكى (م ٦٣٣ / ١٢٣٧) وتم على يديه فتح بلكرام في سنة ٦١٤هـ كما ذكرنا .

وأما نسب غلام على آزاد فإنه ينتهى إلى السيد محمد صغرى بعد ستة عشر جيلا، فهو "غلام على آزاد بن السيد نوح بن السيد فيروز بن السيد إله داد بن السيد أمان الله بن السيد محمود الثاني بن السيد حسين بن السيد نوح بن السيد محمد الأكبر بن السيد خداداد بن السيد لطف بن السيد سالار بن السد حسين بن السيد نصير بن السيد حسين بن السيد عمر بن السيد محمد الصغرى" [٥٦].

ينكر بعض الناس نسبة غلام على آزاد إلى السادات الواسطية الزيدية حتى أنهم ينكرون نسبة آزاد إلى بلكرام حيث يقولون إن آباءه كانوا من صمدن من إيالة فرخ آباد، وفي مقدمتهم الشيخ غلام حسن ثمين الفرشورى الذي كان معاصر آزاد وقد ألف كتابا باسم "شرائف عثماني "واستدرك فيه أحداث ووقائع "مآثر الكرام " لآزاد، وفي هذا الخصوص يكتب ثمين أن آباء آزاد قد هاجروا إلى بلكرام من صمدن طلبا للعلم في عهد الملك بهلول اللودى ثم استوطنوها متأثرا بالأخلاق الكريمة لأهالي بلكرام، وفيما يلي العبارة الأصلية له :

"بزرگ حضرت آزاد مذكور از قصبه صمدن در عهد ملك بهلول لودى در بلگرام برائ تحصيل علم برآمده، بعد چندے بوجه اخلاق اهاليان بلگرام طرح توطن انداخته[٥٧].

وكذالك ذكر السيد محمد محمود العثماني البلكرامى أن آباء آزاد هاجروا إلى بلكرام في عهد الملك بهلول اللودى [٥٨].

إن السيد مقبول أحمد الصمدنى صاحب " حيات جليل: سيرة السيد عبد الجليل البلكرامى" قد شن على آزاد نقدا حارا قائلا بأنه (أي آزاد) يعد نفسه بلكراميا والحقيقة

---

[٥٥] محمد بن عبد الجليل : تبصرة الناظرين (مخطوطة) نقلا عن مجلة المجمع العلمى الهندى عليجراه ج ٥ ع ١ ، ٢ ص/ ١٠

[٥٦] راجع وصي الحسن الواسطى : روضة الكرام شجرة سادات بلكرام ص/ ٧٥- ١٧٣

[٥٧] شرائف عثمانى نقلا عن مجلة معارف أعظم جره ج ١٢ ع٦ ص ٤٥٠

[٥٨] محمد محمود بلكرامى : تنقيح الكلام في تاريخ خطه باك بلكرام : ج ١ ص/ ٩ . والعبارة الأصلية فيما يلي : مير غلام على آزاد كا خاندان زبديه بهى ملك بهلول لودى كےعهد مين (١٤٥٠ - ١٤٨٧ (طلب علم كےلئے بلگرام كيا اور وهين كا هورها .

أنه من صمدن [59]، إنه يعترف بأن آزاد كان من السادات الزيدية الواسطية ولكنه يقول إن فرعا من هذه السادات قطنوا بصمدن :

A branch of Saiyids lived and prospered in Samdan and enhoyed the respect and affection of all their brethern of other Saiyid clans. [60]

وبعد ذلك ينقل مقبول أحمد قول غلام حسن ثمين أن آباءه هاجروا إلى بلكرام لطلب العلم . وكذلك يذكر أن جد آزاد السيد فيروز مدفون في صمدن [61]. وخلاصة كل ماكتبه في هاتين المقالتين أن آزاد اقترف ذنبا عظيما بأنه عد نفسه بلكراميا و لم يذكر وطنه الأصلي صمدن في أي من الأماكن ولعل آزاد كان يريد أن ينتمى إلى بلكرام لأجل كونها قرية شهيرة ومركزا للعلماء والفضلاء .

وأيا كان الأمر فليس من السهل أن نصدق ما قاله هؤلاء المؤرخون ثمين ومحمد محمود ومقبول أحمد لأسباب عديدة، أولها أن آزاد لا يحتاج أن يفتخر بنسبته إلى بلكرام، بل إن بلكرام مفتخرة بأنها أنجبت هذا العبقري الفذ الذي انتشر صيته في أرجاء العالم كلها، ثانيا: أن هؤلاء المؤرخين لم يذكروا دلائل مقنعة لنسبته إلى صمدن، ثالثا : أن غلام حسن ثمين وغيرهم معروفون لبغضهم وعداوتهم ضد آزاد فلا يمكن أن نعتمد على أقوالهم، ورابعا : أن نسبه مذكور في كثير من الكتب التاريخية بأنه من السادات الواسطية ولا نجد أحدا منها يذكر نسبة أحد منهم إلى صمدن .

هذا، وأما والد آزاد السيد محمد نوح فقد كان موظفا للنواب "مبارز الملك تونى" وبقى سنين كثيرة في عهدة " مير سامانى " وكان قد تزوج ابنة للسيد عبد الجليل البلكرامى الذي كان من العلماء العظام في عصره .

نشأته وتعليمه :

نشأ آزاد في أسرة علمية كانت تتمتع بمنزلة رفيعة في مجالات العلم والدين، فكان من الطبيعي أن يكمل آزاد مراحل تعليمه وتربيته في جو علمي خالص، وفي بيئة أدبية

---

[59] راجع مقالة له : كيا آزاد بلكرامى تهے ؟ معارف ج ١٢ ع ٦ ص/ ٥٦ - ٤٤٩

وكذلك مقالة له في مجلة Muslim Review (Calcutta) vol 1, No. 2 1926, p. 25 - 36

[60] Muslim Review , p. 26

[61] معارف ج ١٢ و ٦٤ / ص ٤١٥ .

صالحة، فقرأ آزاد الكتب الدرسية بداية ونهاية على السيد طفيل محمد الأترولوي البلكرامى (١٠٧٣- ١١٥١هـ) [٦٢]، الذي كان فاضلا معروفا في ذلك العصر، وتعلم آزاد قواعد العروض والقوافي ونبذا من فنون الأدب من خاله السيد محمد بن عبد الجليل البلكرامى.

وكان السيد عبد الجليل المذكور جد آزاد من أكابر فضلاء الدهر شرقا وغربا، ولكنه خرج من وطنه للسياحة، وقضى شطرا من عمره مؤظفا للحكومة، فلما قفل إلى بيته بعد ست عشرة سنة كان آزاد حينئذ في العام السابع عشر من عمره [٦٣]. فلما رآه اغتنم وانتهز هذه الفرصة لكسب العلوم والمعارف من هذا الأستاذ الفاضل الوحيد، فتعلم عنده زمانا، فأخذ منه اللغة والسير النبوية وسند الحديث المسلسل بالأولية، وحديث الأسودين، وإجازة أكثر الأحاديث والشعر العربي والفارسي .

كان السيد عبد الجليل متأثرا بذكاوة آزاد وصلاحيته وكان مسرورا باستعداده وعلمه ويعده مفخرة لنفسه وكان يقول إنه يرجو أن يبقى اسمه وعلمه بسبب آزاد :

می خواهم به وجوه نشانی از من باقی ماند [٦٤].

وقد كان آزاد مائلا إلى تزكية النفس فبايع السيد لطف الله الحسيني البلكرامى (م١١٤٣) [٦٥] في عنفوان الشباب في جمادى الأخرى سنة ١١٣٧هـ ، وأخذ عنه الطريقة والخلافة .

رحلاته :

كان غلام على آزاد كثير الترحال والسياحة فقد قام بعدة رحلات مهمة في حياته قد لعبت كعوامل رئيسية في حياته الأدبية والعلمية، فقد حصل آزاد من هذه الرحلات على فوائد جمة، كما أخذ من العلوم والمعارف ما استطاع أن ينفع .

---

[٦٢] راجع حياته مآثر الكرام : ص/ ٥٨ - ١٤٨، سرو آزاد : ص/ ٥٣ - ٢٥١ ، تذكره علمائ هند : ص/ ٥٧-٢٥٦ ، حدائق الحنفية : ص/ ٥٨-١٤٩ ، أبجد العلوم : ص/ ٩١٠ ، سبحة المرجان : ص/ ٩٣- ٩٠

[٦٣] راجع مقدمة السيد على الزينبى لمختار ديوان " السبعة السيارة " لآزاد

[٦٤] مآثر الكرام : ص/ ٢٦١

[٦٥] راجع حياته مآثر الكرام : ص/ ١١٣ - ١٠٨ ، وخوشكو : سفينه خوشكو ص/ ٧٦ - ١٧٥

فأول رحلته كانت إلى دهلى عاصمة الحكومة الهندية في ذلك العصر حينما قصد السيد عبد الجليل إليها بعد ما مكث مدة سنة في بلكرام في سنة ١١٣٤، فرافقه آزاد وأقام عنده سنتين في دهلى لتكميل ما كان باقيا من تحصيله من العلوم والمعارف، فقرأ هناك شطرا من قاموس اللغة وكتب الحديث ، فكانت هذه الرحلة مفيدة له من الناحية العلمية والأدبية واللغوية، حيث يتجلى أثرها في شعره وأدبه بوضوح، ثم رجع آزاد إلى وطنه بعد الفراغ من تحصيل العلوم وأقام هناك لفترة من الزمن .

وفي سنة ١١٤٢هـ اتفق له أن يسافر إلى السند لزيارة خاله السيد محمد الذي كان هناك على عهدة "مير منشي" من ملك دهلى، وكان مقره "سيوستان" وهى بلد من بلاد السند، "فخرج آزاد في ذي الحجة سنة ١١٤٢هـ من بلكرام متوجها إليها ووصل إليها مارا بدهلى ولاهور وملتان في ربيع الأول سنة ١١٤٣هـ، فجاب هذه الشقة في عام وثلاثة أشهر" [٦٦]. وفي خلال هذه الرحلة ألف آزاد كتابا في سيرة الشعراء الفارسيين باللغة الفارسية باسم " يدبيضا "، وقد نال هذا الكتاب شهرة واسعة عند الأدباء والعلماء .

وأقام آزاد في "سيوستان" أربع سنوات وتربع في إبان هذه الفترة على منصب النظارة والكتابة بدلا من خاله السيد محمد حتى رجع خاله من بلكرام، فارتحل آزاد من "سيوستان "ووصل إلى دهلى سنة ١١٤٧هـ ، فبلغه أن أباه في اله آباد مع العيال كلهم منذ سنة ١١٤٤هـ ، فسافر إليه ووصل هناك بعد مروره "آكره "في ١ من رمضان حينما ظهر الهلال، ومكث في إله آباد سنتين، وذهب مرتين إلى وطنه بلكرام خلال إقامته في اله آباد[٦٧].

وفي سنة ١١٥٠هـ نزعت نفسه إلى زيارة الحرمين، وكان قد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام في أيام الصبا، فكان فؤاده منذ ذلك الحين يترعرع مشغوفا بالهوى والكبد منطويا على الجوى، فخرج من البيت راجلا في ٣ من رجب سنة

---

[٦٦] راجع مقالات شبلى : ج ٥ ص/ ١١٣

[٦٧] راجع خزانه عامرة : ص/ ٢٤

١١٥٠هـ مستخفيا على الناس . ولذلك قصة عريضة طويلة ذكرها في " سبحة المرجان" بعبارة أحلى من العسل المصفى، فلننقل بعضه في هذا المقام :

"ثم شمت برقا لاح من سارية القدس، وشممت عرفا فاح من خزامى الأنس، ودعتنى أطيار تصدح في خمائل العقيق، وخلستنى غزلان تحوم حول البيت العتيق، فاغتمنت الفرصة بين العدمين، وصممت النية في زيارة الحرمين - زادهما الله جاها وكرامة - فخرجت عن مولدي المحروس وأهل بيتي لا يعرفون بالأمر المعكوس، حيث سلكت اليسار وعجت إلى اليمين، وقلت في نفسي "إن ربي سيهدين"، ولو علموا لسدوا سبيلا، وألقوا إلى قولا ثقيلا، وبعد يومين وقفوا على حقيقة الحال، وشمروا متبعين على جناح الاستعجال، فما وجدوا هائما في الفيفا، وما ظفروا بضالة فقدوها بالبيدا، وكان السرى من الحي في الثالث من رجب المرجب سنة خمسين ومأة وألف، وتاريخ هذا السفر "سفر خير"، إلى آخره [٦٨].

ويطول بنا نقل جميع القصة بألفاظه ، وخلاصته أنه سلك طريقا غير مسلوك يطلع عليه أحد، فوصل إلى "سرونج" قرية من توابع بلدة مالوه، وقد تورمت قدماه وتعذر المشى عليه، وكان النواب آصف جاه حاكم حيدر آباد محاربا مع "المراهت" (MARATHAS) إذ ذاك في سرونج، فاستعان منه على الرحلة بإنشاء شعرين في مدحه بالفارسية :

ای حامئ دین محیط جود واحسان حق داد تراخطاب آصف شاهان
اوتخت بدرگاهِ سلیمان آورد تو آل نبی را به در کعبه رسان [٦٩]

ولم يمدح آزاد بعد ذلك أحدا من الملوك والأمراء إلا نادرا وإنما مدح آصف جاه لشدة شوقه إلى زيارة بيت الله، فأعطاه النواب الزاد والراحلة، فخرج آزاد من بوفال في بدء شوال وبلغ في ١٠ من ذي القعدة إلى ميناء سورت، وركب الموكب في ٢٤ من ذي القعدة ونزل في جدة في المحرم سنة ١١٥١هـ ، فقابله بالترحيب الشيخ محمد فاخر إله

---

[٦٨] سبحة المرجان : ج ١ ص/ ٣٠٥ - ٢٩٩

[٦٩] مآثر الكرام : ص/ ٣٠٧

آبادى [٧٠]. وكان صوفيا وشاعرا مشهورا مقيما بمكة، فارتحل معه إلى مكة المكرمة ووصل إليها في ٢٣ من المحرم، وحيث أن أيام الحج قد انقضت وقف في مكة ثلاثة أيام فقط، ثم قصد إلى المدينة المنورة وأقام هناك ثمانية أشهر .

واستفاد في فن الحديث من الشيخ المحدث العلامة محمد حياة السندى [٧١] خلال إقامته في المدينة المنورة، كما يقول في سبحة المرجان :

"وقرأت أيام إقامتها صحيح البخاري على شيخى ومولائى صاحب الجاه السنى، الشيخ محمد حياة السندى المدنى - قدس سره- وأخذت عنه إجازة الصحاح الستة وسائر مقروءاته، واقتطفت ثمارا أيانع من غصون بركاته" [٧٢].

ثم رحل إلى مكة المكرمة وأدى مناسك الحج سنة ١١٥١هـ، وانتهز فرصة وجود الشيخ عبد الوهاب الطنطاوي المصري (م ١١٥٧هـ) بمكة المكرمة واستفاد منه معلومات جمة حول الحديث الشريف، وذات يوم ذكر له أن لي لقبا آخر ادعى به وهو "آزاد" وقال إن معناه " الحر" أو "العتيق" ، فبشره الشيخ قائلا :

" يا سيدى أنت من عتقاء الله " [٧٣].

وقد أرخ آزاد بدء رحلة الحج بكلمة "سفر خير" وتاريخ العودة بكلمة "سفر بخير" ومادة تاريخ هذا الحج هي "عمل أعظم" .

عودته إلى الهند :

ثم رجع آزاد إلى الهند في جمادى الأولى سنة ١١٥٢هـ ، ولكنه لم يرجع إلى وطنه بلكرام، بل سافر إلى دكن وسكن بأورنكاباد في جنوب الهند، وقضى مدة تناهز سبع سنين في زاوية الشيخ مسافر الغجدوانى (م ١١٣٦هـ) [٧٤].

---

[٧٠] راجع لحياته سرو آزاد : ص/ ١٨ - ٢١٠، سفينه خوشكو : ص/ ٢٩٥

[٧١] راجع لحياته مآثر الكرام : ٦٦- ١٦٤ ، سبحة المرجان ج ١ ص/ ٥٠ - ٢٤٤ ، صديق حسن خان : التاف النبلاء ص/ ٤٠٣

[٧٢] سبحة المرجان : ج ١ ص/ ٣٠٢

[٧٣] نزهة الخواطر : ج ٦ ص/ ٢٠٢

[٧٤] راجع لحياته مآثر الكرام : ص/ ٧٥ - ١٧٤

وحصل بينه وبين النواب نظام الدولة ناصر جنك خلف نظام الملك آصف جاه صلة الود والصداقة، فاحتفى به الأمير كثيرا وبالغ في إكرام مثواه، وطلب منه المرافقة في السفر والحضر كليهما . يذكر آزاد قصة لهما بأنهما كانا راكبين على فيلين فأنشد آزاد :

هو ناصر الإسلام سلطان الورى أبقاه في العيش المخلد ربه

حاز المناقب والمآثر كلها جبل الوقار يحبنا ونحبه [٧٥] .

وحينما تولى نظام الدولة رئاسة الدكن بالغ في اختيار آزاد لمنصب من مناصب الإمارة وألح عليه، ولكنه أبى وقال : "هذه الدنيا مثل نهر طالوت، غرفة منه حلال، والزيادة عليها حرام" [٧٦] .

وأقام آزاد في أورنك آباد إلى وفاته، مرتكزا على تأليف الكتب العلمية وبقرض الشعر وإنشاء الدواوين، وكذلك كان ينشر الفوائد العلمية الجمة ويدرس عامة الناس ويوقظ فيهم الشعور العملي والذوق الأدبي، وقد كان من معاصريه في الدكن السيد قمر الدين الأورنك آبادي صاحب "مظهر النور"، والسيد مير قدرة الله البليغ، والحافظ غلام حسن الكجراتي، ومولانا فخر الدين الترمذي، والسيد مير رضى اقدس شسترى، والسيد موسوى خان جرأت، وعارف الدين خان عاجز، وسراج الدين سراج الأورنك آبادي، ومير عبد الرزاق المخاطب بشاهنواز خان الشهيد صاحب "مآثرا الأمراء" ـ وكان من تلامذته لجهمي نارائن شفيق صاحب "كل رعنا" و"شام غريبان" ، ومير عبد القادر مهربان الأورنك آبادي، وعبد الوهاب افتخار الدولت آبادي صاحب "تذكرة بـ نظير"، وضياء الدين بروانه، وميرزا عطاء المتخلص بضياء البرهانبوري وغيرهم [٧٧] .

ولا نجد أحوالا كثيرة من حياته في الدكن إلا بعض ما ذكره في مقدمه له على مجموعة قصائده النعتية "أوج الصبا في مدح المصطفى" حيث يكتب فيه :

" وأقام بمحروسة أورنك آباد من بلاد الدكن ومكث بها مدة ممتدة ثم خرج عنها في ١٤ من ربيع الآخر سنة ١١٨٦ هـ وورد على قصبة "بير "علي أربعة منازل من أورنغ

---

[٧٥] سبحة المرجان ج ١ ص ٢٠٧ .

[٧٦] نزهة الخواطر ج ٦ ص ٢٠٢ .

[٧٧] اردو دائرة معارف إسلاميه ، دانش كاه بنجاب باكستان ج ١ ص ١٠٥ .

آباد وتوقف بها قليلا، ثم سافر منها إلى حيدر آباد في ١٣ من جمادي الأخرى سنة ١١٨٦ هـ ونوى الإقامة بها، وفي أيام الإقامة بها نظم قصيدة حسنية عربية في وصف أعضاء المعشوقة "مرآة الجمال"، ثم خرج من حيدر آباد بعد ما أقام بها سنتين وأياما في ١٠ من رجب سنة ١١٨٨هـ ودخل أورنكاباد في السلخ منه وألقى مراسيه بها .

وجاء ابن ابنه السيد أمير حيدر بن السيد نور الحسين حسب طلبه من بلكرام إلى أورنغ آباد وكلف جده أن ينظم ديوانا مردفا على طريقة شعراء الفرس . ثم خرج في ٢٧ من ذي الحجة سنة ١١٩٤ من أورنغاباد ودخل حيدر آباد في ١٤ من المحرم سنة ١١٩٥هـ، وأقام بها زمانا قليلا، وخرج عنها في ٢٢ من جمادي الأولى سنة ١١٩٥ ودخل أورنغ آباد في ٨ من جمادي الأخرى من هذه السنة " [٧٨] .

وهذا يدل على أنه كان يتوارد بين أورنغ آباد وحيدرآباد في آخر حياته، وكان قد اشترى في أواخر حياته قطعة من الأرض لقبره في روضة "خلد آباد" قريبا من قبر الشاه برهان الدين غريب .

وفاته :

لقد اختلف بعض الناس في تاريخ وفاته، فقد ذكر النواب صديق حسن خان بأنه توفى في سنة ١١٩٤ هـ [٧٩] ،ولكن الأرجح أن كان وفاته كان في ٢١ ذي القعدة سنة ١٢٠٠ هـ / ١٥ سبتمبر ١٧٨٦ ء لأن أكثر المؤرخين متفقون على هذا، ولأن آزاد بنفسه يذكر أنه ألف" أوج الصبا" في سنة ١١٩٧ هـ [٨٠] . ولأن بعض الناس أرخوا سنة وفاته بقول "آه غلام على آزاد" الذي يتضمن ١٢٠٠ عددا .

كان وفاته في أورنك آباد، ودفن بالموضع الذي يعرف بالروضة .

وقد نظم آزاد أحواله في قصيدة ذكرها في الدفتر السابع من "مظهر البركات" مجموعة قصائده المزدوجة [٨١] ، ويبدو من الملائم هنا أن ننقل هذه القصيدة في هذا المقام :

---

[٧٨] أوج الصبا في مدح المصطفى (مخطوطة٩) ورق ٤١ - ٣٩ مكتبة دار العلوم لندوة العلماء، تحت المخطوطة رقم ١٤٢٣ .

[٧٩] ابجد العلوم ص ٩٢٢ .

[٨٠] أوج الصبا (مخطوطه) ورق ٤٤ .

[٨١] مظهر البركات (مخطوطة): الدفتر السابع ورق ٢٥ - ٣٢٤ مكتبة دار العلوم لندوة العلماء، تحت المخطوطة رقم ١٥١٣ .

أنا ودعت مكمن العدم ثم أدركت مجلس النسم
كان تاريخ كاد من صفرا كان عهد الربيع مختضرا
مولدى بلكرام بالهند فاق هذا المقام بالهند
حصلت بي لوالدي طربى وجد العام باعث البشري (١١١٦ هـ)
أشكر الله مسعف الآمال أننى نجل مؤثم الأشبال
اكتسبت العلوم معتنيا وحملت الجبال مستويا
من إمام الورى طفيل محمد الحبر ندوة العالم
ثم عبد الجليل ذي البركات معدن العلم مخزن الملكات
وابنه المعتنى بأحوالي تاج رأس محمد خالى
فعملت السرى من الهند لمرام عرى من السند
كنت في السند برهة فرحا باتساع المعاش منشرحا
عدت من ههنا إلى الوطن آمنا من عوائق الزمن
ثم أزمعت زورة الحرمين شمت برقا جدا من العلمين
فقطعت الطريق في الغبراء وطويت السبيل في الدأماء
طى هذا السبيل خير سفر عام هذا الرحيل"خير سفر"(١١٥٠ هـ)
وانتهى مركبى إلى جدة وانقضت من مسيرتى مدة
فرح القلب بالنزول بها حسن الحال بالحلول بها
ثم أدركت مكة العظمى طفت بالبيت مظهر المولى
ثم أدركت بلدة المختار زرت مولاى سيد الأبرار
وقرأت الصحيح بالزوراء للبخاري أعلم العلماء
عند مولاى مرجع الأمم في أحاديث أشرف النسم
ركب الواضع الكريم الذات اسمه من محمد وحيات
عدت من طيبة إلى مكة وتشممت من شذا مكة
ثم حصلت دولة الحج وتكسبت نعمة الحج

اتخذت الفوائد الجمة من أحاديث قائد الأمة

عن جناب المحدث المشهور والإمام المقدس المغفور

اسمه قرط مسمع الأحباب هو عبد وبعده الوهاب

عدت من مكة إلى الدكن طالما قد جعلته وطنى

أنا أطوى الزمان في السراء وأنا أحطى بأسبغ الآلاء [٨٢] .

---

[٨٢] راجع لحياة آزاد :

سبحة المرجان ١ / ٢٩٨ - ٣٠٩، مآثر الكرام ص ١٦١ - ١٦٤، و٣٠٤ - ٣١١، سرد آزاد ص ٢٩١ - ٣٠٧، خزانة عامره ص ١٢٢ - ١٤٥، روضة الأوليا ، ص ٤٤ - ٤٧، أنجد العلوم ص ٩٢٠ - ٩٢٢ إتحاف النبلاء ص ٣٣٠ - ٣٣٥ ، نزهة الخواطر ج ٦ / ٢٠١ - ٢٠٥، حدائق الحنفية ص ٤٥٤ - ٤٥٦ ، تذكرة علمائـ هند ص ٦٣ -٣٦٢ ، الثقافة الإسلامية في الهند ص ١٥١، مقالات شبلي د / ١١٨ - ١٢٨ لجهمى نرائن شفيق : شام غريبان ص ٢٨٩ - ٢٩٦، عبد الجبار ملكابوري : محبوب الزمن ١ / ٢٢٠ - ٢٣٤، أسد علي خان تمنا : كل عجائب ص ٣، شيخ غلام مصحفى : عقد ثريا ص ١٠، خوشكو : سفينة خوشكو : ص ٢٦٩ - ٢٧٠ محمد إسحاق البتى : فقهاء هند د - ١ / ٢٥٥ - ٣٠٩، مقبول أحمد صمدنى : حيات جليل ٢ / ١٦٣ - ١٧٧ وصى الحسن واسطى : روضة الكرام ص ٢٠٠ - ٢٠٥، د / محمد إسماعيل الندوي : تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية ص ٢٢٦ - ٢٢٧، الزركلى : الأعلام د / ١٢١ ، لاله سرى رام : خمخانه جاويد ١ / ٢٦ - ٢٧، إسماعيل باشاه : هدية العارفين ١ / ٧٧٠، عبد الحميد سالك : مسلم ثقافت هندوستان مين ص ٢٦٩ - ٢٦٨، على شير قانع : تحفة الكرام ٢ / ٩٦، ابراهيم خليل : صحف إبراهيم ص ٨، محمد أكرام : رود كوثر ص ٦١١ .

الباب الثاني

الأعمال النثرية لغلام علي آزاد

الفصل الأول : مساهمة آزاد في التاريخ والسير

الفصل الثاني : مساهمة آزاد في النثر العربي

الفصل الثالث: نظرة عابرة على مؤلفات آزاد الفارسية والأردية

الفصل الأول :

مساهمة آزاد في التاريخ والسير

ولد آزاد في عصر كانت تميل فيه حكومة المغول في الهند إلى الزوال والاضمحلال، وكانت نتيجة ذلك أن النشاطات العلمية أيضا قد تعرضت للركود والخمود ، وذلك لأن العلماء والأدباء لم ينالوا أية إعانة من قبل الحكومة، كما لم يحظوا بأية عناية من عامة الناس، ولكن في هذا العهد المتدهور كان هناك ثلة من العلماء والأدباء الذين كانوا ينورون مصباح العلم والأدب، وخلفوا وراءهم أعمالا جليلة في جميع أنواع العلوم والفنون، ومما لا يشك أحد في أن أزاد يتربع بينهم على مكانة رفيعة مرموقة .

وإذا استعرضنا ما تركه آزاد من المؤلفات وجدنا أنه كان بارعا في كل ما يتحلى به من علم وفن، فقد كان شاعرا عظيما كما كان عالما كبيرا، ولكن براعته في فن الرجال والسير لايوازيه فيها أحد في عصره، لأنه قد بذل عناية خاصة لتطوير هذا الفن في شبه القارة الهندية، ولا نجد أحدا قبله من اعتنى بتدوين أحوال العلماء الشعراء العظماء ومن الهند مثل ما فعله آزاد .

مما لاشك فيه أن في العهد الإسلامي للهند تدونت كتب عديدة عن التاريخ لا يوجد لها نظير، ولكن فن التاريخ أصبح يميل إلى الانحطاط مع زوال الحكومة المغولية، إلا أن آزاد انكب على إحياء هذا الفن من جديد ، وأضاف إليه فنا جديدا في الهند وهو فن أسماء الرجال، يكتب الدكتور فضل الرحمن الندوي أنه كان هناك كتب في اللغة الفارسية في فن التاريخ عامة تشتمل على سير بعض الناس ، ولكن لم تعالج أحد منها فن السيرة كفن مستقل، إنه كان آزاد الذي تفرد بكتب تشتمل على السيرة الخاصة :

Before Azad, books were written in Persian as general history which contained biographical material. But none of them treated biography as a separate subject . It was left to Azad to develop the art separately and to write treatises containing specialized biographies . [83]

---

[٨٣] في مقدمة له على سبحة المرجان في آثار هندوستان ص / ٨ .

وكذلك يكتب العلامة شبلي النعماني الذي كان بنفسه مؤرخا عظيما للتاريخ الإسلامي أن فن الرجال والتاريخ والسير وإن كان فنا اهتم به المسلمون خاصة، ولكن الهند تخلفت في مساهمتها في هذا الفن، ولم يؤلف فيها أي كتاب ينطوي على هذا الفن، حتى جاء آزاد، فرفع الستار عن أحوال علماء الهند، وألف سيرتهم وحياتهم بدقة وبراعة، وكان آزاد يفتخر بهذه الأولية في هذا الفن، وكان أحق أن يفتخر به [٨٤] .

فقد ألف آزاد عدة كتب في هذا الفن ونالت هذه الكتب شهرة عظيمة لكونها من أهم المصادر التاريخية لأحوال الشعراء والعلماء في شبه القارة الهندية، وتجدر الإشارة هنا إلى أن كتبه " يد بيضاء" و "سروآزاد" و " خزانة عامرة " تتضمن سيرة الشعراء الفارسيين، في حين أن كتابه " روضة الأولياء " يدور حول حياة الصوفية، وكتابه الشهير "مآثر الكرام" يقدم سيرة علماء وعظماء بلكرام وغيرها، وإن جزءا كبيرًا من كتابه الشهير " سبحة المرجان في آثار هندوستان " يحتوى على أحوال أشهر العلماء والأدباء في الهند منذ بداية الإسلام إلى عصره .

كل من هذه الكتب يبرهن على دقته وبراعته في التحقيق والتحليل للأحوال التاريخية الموجودة عنده، وإن الذي يطالعها يعترف بعظمته في هذا الفن، وقد ذكر آزاد في كثير من الأحيان أنه لم يطالع الكتب القديمة على التاريخ فحسب، بل حاول أن يشافه لجمع المواد أولئك الرجال الذين كانوا يعرفون أية ناحية من سيرة العلماء الكبار من الهند، وقد استفاد من مصادر مختلفة، وجمع المواد من كل مرجع ممكن [٨٥] .

فإذا قلنا أن آزاد أول من عكف على تدوين سيرة العلماء والشعراء في الهند فلا نبعد عن الحق، لأنه إن لم يكن يكشف الستار عن أحوال هؤلاء لم يمكن لنا أن نتعرف على علمهم وفضلهم ومساهمتهم في مختلف الفنون من العلوم والآداب . يكتب الأستاذ

---

[٨٤] مقالات شبلي ج ٥ : ص/ ١٢٤ وننقل فيما يلي العبارة الأصلية :

فن رجال اور تاريخ اگرچه مسلمانون كا گويا فن خاص هے ليكن هندوستان كى علمى حالت كى كچه ايسى افتاد پڑى تهى كه ابتدا سے اس زمانه تك كسى نے ايك كتاب بهى اس فن مين نهين لكهى، نتيجه يه هوا كه هندوستان كے سيكڑون هزارون علماء كے حالات پر آج گمنامى كا پرده پڑاهوا هے، آزاد سب سے پهلے شخص هين جنهون نے هندوستان كے علماء اور ارباب عمائم كے حالات قلمبند كئے هين ، آزاد نے اس اوليت پر خود جابجا فخر كا اظهار كيا هے اور بجا كيا هے .

[٨٥] مآثر الكرام : ص/ ٣

محمد إكرام في كتابه الشهير " رود كوثر " أنه إذا لم يكن يؤلف آزاد هذه الكتب لكان من الصعب جدا تدوين التاريخ الفكري والأدبي والديني للهند الإسلامية . إن آزاد البكرامي قد افتخر - كان أحق أن يفتخر - بأنه أول من دون أحوال العلماء والفضلاء، لقد ألفت تذاكر كثيرة عن الأولياء والصوفية ولكن لم تولف أية تذكرة عن العلماء، فكافأ آزاد هذا بتأليف "سبحة المرجان" و"مآثر الكرام " [٨٦] .

وقد ذكر آزاد أوليته في تدوين أحوال العلماء في مقدمة الفصل الثاني من كتابه "سبحة المرجان " وذكر الأسباب التي أدت إلى إهمال الناس عنه حيث يقول : " لما انتشر الإسلام في هذا البلاد، وطلعت شموسه على الأغوار والأنجاد، وعلت الكلمة الطيبة في هذه الغبراء ، واجتمعت بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ظهر بها جمع من العلماء والأدباء الإسلامية ، ونثر على بسط الأزمنة لآلى من السحب الأقلامية، لكن ما عمد أحد على ضبط تراجمهم ، والا اجتنى جان زاهرا من حواجمهم ، وسببه أن أهل الهند لهم اهتمام عظيم بحفظ الأحوال والأقوال من مشائخ الطريقة، ولا اعتناء لهم أصلا بجمعها من العلماء الكاشفين من الحقيقة، وما رأينا من السلف والخلف كتابا مستقلا في هذا الباب ، لا على طريق الإيجاز ولا على سبيل الإطناب [٨٧] .

ولكن الأستاذ عبد الحق الملقب ب " بابائے اردو " ينكر أولية آزاد في تدوين أحوال العلماء حيث أنه يقول في مقدمة له على "مآثر الكرام " أن صاحب التاريخ النظامي والسيد عبد القادر البدايوني والعلامة أبا الفضل قد ذكروا في أزمانهم أحوال العلماء والفضلاء والأمراء في كتبهم التاريخية، ولكنه يعترف بأن آزاد قد اهتم بهذا الفن بالغ الاهتمام وبذل عنايته الخاصة إلى تطويره [٨٨] .

---

[٨٦] رود كوثر : ص/ ٦١٠

[٨٧] سبحة المرجان : ج١ ص/ ٦٣

[٨٨] مقدمة مآثر الكرام : ص/ ٦ مطبع مفيد عام ، آكره ١٩١٠م : ونص العبارة كما يلي : اگر چه ان سے پہلے صاحب تاريخ نظامی ، ملا عبد القادر بدايونی اور علامه ابوالفضل اپنی اپنی تاريخون مين اپنے اپنے عهد کے امراء ، علماء اور فضلاء کے کچه حالات لکهه چکے تهے، البته يه ضرور هيکه مولانا آزاد نے اس مين خاص اهتمام کيا هے اور اس فن کی طرف خاص توجه دی هی .

فمهما يكن من أمر فإن " مآثر الكرام " و " سبحة المرجان " لآزاد تعد من الكتب الجامعة الشاملة أحوال العلماء والفضلاء من الهند وتستحق أن تسمى بموسوعتى طبقات العلماء وهذا مما لا يشك فيه أحد أن كل ما كتبه آزاد من بيان الواقعات التاريخية في هذين الكتابين وكتبه الأخرى التاريخية يمكن أن يعد مرجعا أساسيا ذا أهمية عظيمة لمن يرغبون في كتابة تاريخ الهند الإسلامي .

وأما أهمية هذه الكتب لآزاد من حيث صحتها وثقتها عن الأحوال التاريخية التي سردها آزاد فإنها تنعكس بوضوح عما قاله العلامة شبلي النعماني عن أسلوب آزاد التاريخي إنه بالرغم من أن آزاد يسلك طريق إيجاز في تاريخه غير أن ما يكتبه مفيد ومؤكد[٨٩] .

وكذلك يكتب الدكتور فضل الرحمن الندوي أن تراجمه عن العلماء بعيدة عن الخرافات والأعاجيب التي كانت ميزة خاصة لكتب التراجم قبله :

One is gratified to find that his biographical sketches are generally free from accounts for superstitions and miracles as was the case with the biographical works written earlier . [90]

ومع ذلك نلاحظ أن بعض العلماء قد جعلوا آزاد عرضة للنقد العنيف عما يتعلق بصحة هذه الكتب التاريخية لآزاد ولاسيما " مآثر الكرام " ، وعلى رأس هؤلاء العلماء الشيخ غلام حسين ثمين الذي ألف كتابا باسم " شرائف عثماني " واستدرك فيه محتويات " مآثر الكرام " وادعى أن هذا الكتاب ساقط الاعتبار وغيرموثوق به، فهو يكتب في مقدمة " شرائف عثماني" أن آزاد لما أرسل كتابيه "مآثر الكرام" و"سر وآزاد" من دكن إلى بلكرام ووقف عليه فضلاء بلكرام أبدوا الحيرة والاستنكار لأن اكثر بيانات "مآثر الكرام" بعيدة عن الحقائق والأسناد والتاريخ والفرامين، ولا سبيل لنا إلا أن نعده ساقط الاعتبار [٩١].

---

[٨٩] مقالات شبلي : ج ٥ ص/ ١٢٧

[٩٠] راجع مقدمته على سبحة المرجان : ص/ ٨

[٩١] مقدمة شرائف عثمانى نقلا عن تنقيح الكلام ص ٥ ، والعبارة الأصلية فيما يلي :

كذلك ألف محمد صديق سخنور العثماني البكرامى [٩٢] كتابا سماه "تحقيق السداد في مذلات الآزاد" [٩٣]. ردا على " مآثر الكرام" و"سر وآزاد" ، قد نقد فيه أسلوب آزاد في الكتابين المذكورين إلى جانب أسلوب شاعريته، وبسبب أن هذا الكتاب ألفه سخنور بناءا على مخاصمته من آزاد، نجد أسلوبه يحمل حدة وغلاظة، وقد ألف في رد هذا الكتاب عبد القادر السمرقندي الدهلوي أحد من تلاميذ آزاد باسم "تأديب الزنديق في تكذيب الصديق" ونجد أسلوبه ذا متانة ورشاقة [٩٤] .

ثم إن العالم الشهير من جنوب الهند الملا محمد باقر آكاه قد ألف كتابا مستقلا عن أخطاء آزاد في مؤلفاته وشعره باسم "جهار صد إيراد بر كلام آزاد" [٩٥] ، وكذلك سماه "عشرات آزادية" ، و درج فيه أربعمأة خطأ ارتكبها آزاد في مؤلفاته وشعره . وكذلك أورد وأرسته اللاهوري اعتراضات على آزاد في كتابه "تذكرة الشعراء" وبين فيه مذلات آزاد في مؤلفاته .

ومع ذلك كله تعترف أغلبية العلماء والمؤرخين بأهمية هذه الكتب التاريخية لآزاد لأنها مع ما ورد فيها من التسامحات تعتبر سندا هاما عن الأحوال التاريخية لعلماء الهند وفضلائها، ولأن هؤلاء الكتاب الذين ألفوا كتبا مستقلة شاملة آراء نقدية على تأليفات آزاد معرفون لمخاصمتهم الذاتية من آزاد ، فلا يمكن أن تحط كتب آزاد من منزلتها وأهميتها التاريخية من أجل هذه الكتب . لأن آزاد قد بذل جهودا كثيرة حسب مقدرته

---

* واز آنجا كتبه مسمى مآثر الكرام في تاريخ بلگرام ونسخة سر وآزاد نام تاليف فرموده به بلگرام فرستا دند، چون بنظر جمع از فضلاء وبعض أز روسائے بلگرام گزشت بسبب آنكه اكثر أقوال خلاف واقع تاريخ وأسناد ووثائق وفرامين بودند هريك بزرگان بملاحظه آن بگرداب حيرت در افتادند كه هرگاه تبيان الشان سرتا سر خلاف واقع ومخالف اسناد وتواريخ سلف است، نجز اينكه ساقط از اعتبار است جه توان گفت .

[٩٢] راجع لحياته سر وآزاد ص ٤٩ - ٣٣٥ وعقد ثريا ص ٤٣ .

[٩٣] توجد نسخة له في خزانة المجمع الأسيوى بكلكتة (Royal Asiatic Society of Bengal)

[٩٤] راجع مقالة لعبد الرزاق القريشي في مجلة معارف ج ٨٩ ، ٢٤ ، ص ١٢٥ .

التي حملها باقر على آزاد فليراجع مجلة علوم إسلامية عليجرة جـ ٢، ٢٤، ص ١٢٠ - ٩٣ صفحة بحيدرآباد . وقد نشر الدكتور فضل الرحمن مقالة حول هذا الكتاب بدراسة الإيرادات .

[٩٥] توجد نسخة خطية في جناح الشروانى من مكتبة جامعة عليجرة الإسلامية وكذلك في المكتبة الآصفية بحيدر آباد ، وقد نشر الدكتور فضل الرحمن مقالة حول هذا الكتاب بدراسة الإيرادات التي حملها باقر على آزاد ، فليراجع مجلة علوم اسلامية (عليجراه)ج ٢ ، ع ٢ ، ص ٩٣ - ١٢٠ .

وإمكانيته في تحقيق الوقائع التاريخية التي يذكرها في تراجمه مما يجعلها خزينة ذات قيمة عظيمة للمعلومات التاريخية . يكتب الدكتور عبد الوحيد القريشي أنه مما لا شك فيه أن كل ما كتبه آزاد من الوقائع التاريخية المعاصرة له قد أصبح بابا هاما من تاريخنا الإسلامي للهند، وإن كتب "مآثر الكرام" و"سر وآزاد " تمتاز من غيرهما بالجزم والاحتياط الذي اتخذه آزاد في سرد الواقعات والسنين، وإن اكثر المحققين والمؤرخين الإنجليز يقدرون صحة بيانات آزاد حق قدره [٩٦] .

وخلاصة القول أن آزاد كان واسع الاطلاع على التاريخ الهندي والمحاضرات التاريخية وإنه أول من ألف كتبا جامعة عن سير العلماء والشعراء من شبه القارة الهندية، فهو الذي أسس فن أسماء الرجال في هذه البقعة من الأرض وإن كتبه أصبحت من المصادر الرئيسية للمؤلفات التاريخية التي ظهرت على منصة الشهود بعده من مثل "نزهة الخواطر" للسيد عبد الحي الحسني و"أبجد العلوم" للنواب صديق حسن خان و"حدائق الحنفية" للفقير محمد الجهلمي و"تذكرة علماء هند" للسيد رحمن علي وغيرها من الكتب .

---

[٩٦] نقلا عن مقدمة محمد أيوب القادري على الترجمة الأردية ، ص / ١٣ ، لمآثر الكرام مطبوعة دائرة المصنفين كراتشى ١٩٨٣ .

وفيما يلي نصه :

اس مين كلام نهين كه معاصر تاريخى واقعات كے بيان مين آزاد نے جو كچه لكه ديا هے وه هماری تاريخ كا ايك اهم باب هے ، واقعات وسنين مين حزم واحتياط كى وجه سے مآثر الكرام اور سر وآزاد كو ديگر كتابون مين ايك امتياز حاصل هے ، اكثر محققين اور مؤرخين نے آزاد كے بيانات كو سراها هے اور ان كے حين حيات مين هى بعض اقتباسات كے انگريزى تراجم انگريز مؤرخين كى توجه كا مركز رہ چكے هين .

الفصل الثاني :

مساهمة آزاد في النثر العربي

يعد آزاد من العلماء الذين أضافوا إلى ثروة العلم والأدب بكتب كثيرة، ذات قمية كبيرة، في فنون مختلفة، فقد ألف عدة كتب في اللغتين العربية والفارسية نالت شهرة واسعة في حلقات العلماء والأدباء، وإن كادت تكون قاصرة من أن تصل إلى أيدي عامة الناس، لأن أهل العلم والأدب لم يعنوا بتحقيقها ونشرها، وبقى أكبر عدد منها في المكتبات العامة والفردية في صورة نسخ غير مطبوعة .

ونستعرض فيما يلي جيمع مؤلفاته العربية أولا بصورة دقيقة حتى يتضح لنا مساهمته في إغناء الثروة العلمية والأدبية في اللغة العربية في شبه القارة الهندية .

١ – سبحة المرجان في آثار هندوستان :

يعد هذا الكتاب من أهم المؤلفات التي كتبها آزاد لأنه أول كتاب عربي في الهند يتضمن أحوال العلماء والأدباء الهنود ، كما أنه يميط اللثام عن مساهمة الهند في مختلف العلوم والفنون ولا سيما فن البلاغة والبديع، وهذا الكتاب يشتمل على أربعة أبواب :

فالباب الأول في ذكر ما ورد من فضائل الهند في كتب التفاسير وفي أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ذكر فيه المؤلف الأحاديث التي ورد فيها اسم الهند، وكذلك ذكر أقوال المفسرين عن فضائل الهند .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الباب كان كتابا مستقلا كتبه آزاد في سنة ١١٦٣ هـ / ١٧٥٠ م وسماه "شمامة العنبر في ما ورد في الهند من سيد البشر" [٩٧] . ثم ضمنه المؤلف في هذا الكتاب مع تنقيحات جديدة، وقد نقل فيه آزادالأحاديث وأقوال المفسرين التي تؤيد الرائي الذي يتلخص في أن آدم وحواء – عليهما السلام – حينما أخرجا من الجنة أنزلا في جبل يسرى لنكا (SRILANKA) يسمى الآن "جبل آدم"، وأن نوحا وشيثا – عليهما السلام – كانا قد مكثا في الهند .

---

[٩٧] توجد نسخة قلمية له في المكتبة الآصفية بحيدر آباد رقم المخطوطة ٨٥٣ ، ٨٥٧، ٨٥٩ .

والباب الثاني يحتوى على تراجم علماء الهند وفضلائه، وهذا الباب من أهم أجزاء الكتاب، ذكر فيه المؤلف سيرة خمسة وأربعين رجلا حسب تاريخ وفاتهم ، يبدأ هذا الباب بذكر حياة أبي حفص الربيع بن صبيح السعدى البصري الذي كان من تبع التابعين، وقد هاجر إلى السند وتوفى هناك في سنة ١٦٠ هـ ، ويختتم الباب بسيرة صاحب الكتاب، وهذا الباب من أهم المراجع لتاريخ علماء الهند وفضلائه، وقد راجع إليه كثير من المؤلفين الذين جاؤوا بعده وألفوا كتبا في سيرة العلماء الهنود .

وهذا الباب ايضا مأخوذ من كتابه المستقل المسمى ب"تسلية الفواد في قصائد آزاد" حسبما ذكر آزاد في ترجمة نفسه في سبحة المرجان : " وتسلية الفؤاد ذكرت فيها بعض قصائدى وفوائدى أخرى، وقد نقلت عنها تراجم العلماء ومطالب أخرى في هذا الباب" [٩٨] .

والباب الثالث في ذكر ما للهند من البديع والمحسنات والاستعارات الغريبة النادرة في الأشعار العربية، وقد اعتنى فيه آزاد بنوع من الابتكار في ذكر الاستعارات الفارسية والسنسكريتية التي دخلت في اللغة العربية، يكتب في هذا الخصوص الأستاذ السيد على الزينبي [٩٩] أن آزاد كان مشغوفا بابتكار الأمور الجديدة في العربية، وإظهار شاكلة العجم على العرب، كما فعل في أشعاره العربية، فإن أكثرها على ذوق الفرس أو الهند لا العرب.

يكتب آزاد عن سبب تأليف هذا الباب فيقول : "إنى رأيت العرب العرباء، والأدباء المؤيدين من السماء، أنهم جعلوا علم البديع فنونا، ونسجوا على منوالهم أبا قلمونا، وأخرجوا من أردان الأقلام أزهار الفراديس، وأبرزوا عن جيوب المحابر أجنحة الطواويس، والهنود الذين هم عبدة الأوثان، والعريقون في التهند من بدو العالم إلى الآن، أيضا دونوا علم البديع في لسانهم، وصاغوا حليا من إبريز بيانهم، فعطروا المحافل بعرف الصنادل، وأرجوا المجامع بأرج المناول ، فأجببت أن أنقل بعض بديعهم إلى لسان العرب العرباء، وأضيف صوت الكو كلاء إلى سجع الورقاء [١٠٠] .

---

[٩٨] سبحة المرجان ج ١ ص ٣٠٨ .

[٩٩] في مقدمة له على" انتخاب السبعة السيارة "مطبعة آسي الكائنة . لكناؤ ١٣٢٨ هـ .

[١٠٠] سبحة المرجان ج ١ ص ٤ .

وهذا الباب يشتمل على خمس مقالات، فالمقالة الأولى في ذكر المحسنات التي نقلت عن الهندية إلى العربية، وهي ثمان وعشرون محسنة، والثانية في المستحسنات التي استخرجها آزاد بنفسه وهي سبعة وثلاثون نوعا ، والثالثةفي نوع من مستخرجات الأمير خسرو الدهلوي وهي ثمانية أنواع، والمقالة الرابعة في النوعين المختصين بالعرب وهما حسن التخلص واستخدام المضمر، والمقالة الأخيرة في القصيدة البديعية .

والباب الرابع في ذكر المعشوقات والعشاق، وهو فن خاص بالأهانيد يأخذ بمجامع القلوب ، ذكر فيه المؤلف أقسام العشاق كما توجد عند الشعراء والأدباء، وكذلك أشار فيه إلى أسباب تجعل ذوق الهنود يختلف في نسيب المرأة بالرجل عن ذوق العرب .

وهذا الباب أيضا منقسم إلى خمس مقالات ، فالمقالة الأولى في بيان الغزلان، والثانية في أقسام الغزلان التي هي من مستخرجات آزاد بنفسه، والثالثة في القصيدة الغزلانية، والرابعة ف أقسام العشاق وقد ذكر فيها سبعة وعشرين قسما لهم، والمقالة الأخيرة في القصيدة الهيمانية.

وأما سبب تأليف هذا الباب فيكتب عنه آزاد : إنى رأيت الأهانيد لهم فن عجيب الأسلوب، أخذ بمجامع القلوب، سموه باسم معناه "أسرار النسوان" [١٠١]، وهو روض أريض ترتع فيه أوانس الغزلان، فودرت أن أخلع عليه خلعة التعريب، وأهدى إلى أدباء العرب نوعا جديدا من النسيب [١٠٢] .

وقد ألف آزاد هذا الكتاب في سنة ١١٧٧ هـ كما يتبلور من بيته التالي :

حررت تأليفى وقلت مؤرخا "تجلو البصيرة سبحة المرجان" [١٠٣] .

وطبع هذا الكتاب لأول مرة في بومبائ سنة ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٦ ء [١٠٤] .

وكذلك طبع من مصر أيضا على قول الأستاذ لاله سرى رام [١٠٥] ، وتوجد نسخ خطية

---

[١٠١] نايكه بهيد باللغة الهندية .

[١٠٢] سبحة المرجان ج ١ ص ٤ .

[١٠٣] أيضا ص د .

[١٠٤] كما يذكره وجاهت حسين في مقالة له على آزاد في JRASB IIIRD SERIES, VOL. II, 1936, P. 125

[١٠٥] راجع كتابه ضمحانة جاويد ج ١ ص ٢٦.

هذا الكتاب في المكتبات المختلفة في الهند كما توجد نسخة له في المتحدة البريطاني ، (BRITISH MUSEM) [١٠٦] .

ويذكر الدكتور استورى أن آزاد نقل الباب الثالث والرابع من هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية في سنة ١١٧٨ هـ ١٧٦٤ م وسماها "غزلان الهند"ن وأما الباب الأول والثاني فقد نقلهما إلى الفارسية السيد شمس الدين بن شاه وارث على الحسني الحسيني البنارسي على طلب الملك إسارى براساد ملك بنارس :

A Persian translation of third and fourth fasl was made by the author himself and entitled "Ghizlan al_Hind" (a chronogram = 1178/1764-5). A Persian translation of the first and second fasl was made by Shams al_Din b. Shah Warith Ali Hasani Husaini Banarasi, at the request of the Rajah of Banaras, Maharajah Isari Prasad, in whose services the translator was in 1280/1869. [107]

وعلى أية حال فإن هذا الكتاب يستحق أن يعد جهدا قيما في ذكر خدمات أهل الهند في اللغة العربية، وفي وصف مساهمات الهنود في العلوم والفنون العربية المختلفة :

٢ – ضوء الدراري شرح صحيح البخاري

يحتوى هذا الكتاب على شرح "صيح البخاري " إلى نهاية كتاب الزكاة، وهو شرح ممزوج بالمتن ملخص من "إرشاد الباري" شرح البخاري لأحمد بن محمد القسطلاني (م ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م) ولا ندري كيف ذكر مقبول احمد صمدني أنه ملخص ارشاد الساري للشيخ شهاب الدين مع بعض الفوائد [١٠٨] لأن آزاد بنفسه يذكر في مقدمة هذا الكتاب أن ارشاد الساري تأليف القسطلاني فهو يقول : "إننى لما وصلت إلى المدينة المؤسسة في أوائل سنة إحدى وخمسين ومأة وألف من الهجرة المقدسة، واتفق بعونه تعالى قراءتى "صحيح البخاري" ومطالعة شرحه المسمى "بارشاد الساري" للتحرير المؤيد بالتائيد الرباني ، أحمد بن محمد بن الخطيب القسطلاني، أن ألتقط منه ما يتعلق بمتن الحديث من حل المباني وتحقيق المعاني، مقتصرا عليه من أسماء الرجال "طاويا للكشح عن تطويل المقر، وانتخب منه ما أقرأ كل يوم وإن كان كثيرا، وأزيد عليه من الفوائد الفرائد

---

[١٠٦] . راجع Cataloge of the PersianManuscripts in British Museum by C.Riev . vol. 3 P.1022

[١٠٧] Persian Literature : by C.A.Storey , vol. I, part II, p.860

[١٠٨] حيات جليل ج ٢ ص ١٧٥ .

شيئا يسيرا، وما بعثنى على أخذ القليل إلا احتمال السفر الثقيل في هذا السفر الطويل، فإن هي إلا عدة معان وعدة عجلان [١٠٩] .

نستشف من هذه العبارة أن آزاد ألف هذا الكتاب في المدينة المنورة إلا أنه لم يتمكن من اكماله لأسباب له تعرف ، وتركه إلى نهاية كتاب الزكاة، وقد ذكر في آخر الكتاب عدم تمكنه من تكميل هذا الكتاب إلى آخره حيث يقول: "وهذا آخر كتاب الزكاة، ولما بلغت هذا المكان سكن القلم عن الجريان، وقد تكاثرت العوائق عن الكتابة، لكنها كفتنى عن القراءة فالحمد لله على نعمه الوافرة، وله الجهد في الأولى والآخرة" [١١٠] .

فهذا الكتاب غير مطبوع ، وتوجد نسخة خطية له بخط النستعليق في مجموعة نور الحسن بن النواب صديق حسن خان في مكتبة دار العلوم لندوة العلماء، رقم المخطوطة ٣٦٤، ولعلها نسخة وحيدة لهذا الكتاب لأنها هي التي وقف عليها النواب صديق حسن خان [١١١] وأدخلها في مجموعته، ثم ورثها ابنه نور الحسن فحفظها في مجموعته، وهي النسخة التي عثر عليها السيد عبد الحي الحسني في خزانة السيد نور الحسن بخط المصنف [١١٢] ولم يجد الدكتور استورى [١١٣] . ولا السيد جاهت حسين [١١٤] أية نسخة له ونجد الملاحظة التالية على هذا الكتاب التي كتبها شخص غير معروف في بداية النسخة الموجودة في ندوة العلماء [١١٥] وهي تشير إلى أن نسخة أخرى له توجد في " مكتبة خدا بخش " في بانكي بور بتنة . و عبارة الملاحظة كما يلي :

The first page suggest that the copy is an autograph of the author. The script is similiar to that of Khuda Bux , Bankipur, which has been found out as an autograph copy of the same book by the German sholar, the then principal of Calcutta Madrasa.

---

[١٠٩] أيضا ورق ٧٥ .

[١١٠] أيضا ورق ٧٥ .

[١١١] أبجد العلوم ص ٩٢١ .

[١١٢] نزهة الخواطر ج ٦ ص ٢٠٢ .

[١١٣] كتب استورى في ملاحظته على هذا الكتاب (No Mss. Recarded.) في كتابه الشهير Perriah Literature . vol 1 part. 2 p. 859

[١١٤] لم يذكر وجاهت حسين أية نسخة له في مقالته على آزاد LRASB. 3 SERIES, VOL 2 1936, P. 123.

[١١٥] راجع هذه النسخة في مكتبة ندوة العلماء رقم المخطوطة ٣٦٤ .

ومن اللافت للنظر ان الأستاذ عتيق الرحمن لم يأت ببيان أية نسخة لهذا الكتاب في المقالة التي كتبها عن المخطوطات الموجودة في "مكتبة خدا بخش" من مؤلفات آزاد [١١٦].

هذا، وأما النسخة الموجودة في ندوة العلماء فهي في خط النستعليق المشبك ويبدو أنها مسودة كتبها آزاد بنفسه، وفي آخر الكتاب أراد آزاد أن ينقلها بخط صحيح ولكنه ما بلغ إلا إلى خمس صفحات وعلى أية حال فان هذا الكتاب يشتمل على ٧٥ ورقا في ثلاثة أبواب، منها كتاب الطهارة وهو يشتمل على ستة أوراق وكتاب الصلاة يشتمل على ٥٨ ورقا والباب الأخير كتاب الزكاة الذي يحتوى على ١١ ورقا .

وإذا طالعنا الكتاب بالامعان والدقة لاحظنا أن آزاد اتخذ فقيه منهجا منطقيا لشرح الأحاديث وتحليلهاواعتمد على المذاهب الفقهية المختلفة في الإستدلال على ما كان يريد أن يستنتج، ويمكن لنا أن نقدم مثلا تنقيحاته على حديث "إنما الأعمال بالنيات" حيث يقول : أى ليست الأعمال معتبرة شرعا إلا بالنيات من حيث وجودها واختلافها، أو الثاني فقط، فالأول كالصوم يعتبر بوجود النية وإلا كان عبثا، ويختلف باختلافها لكونه قضاءا أو نذرا، والثاني كالطلاق يختلف باختلاف النية ككونه رجعيا أو باينا ولايتوقف على وجودها، ولو قلنا بخروج الطلاق ونحوه بدلائل أخرى، لايحتاج إلى ذلك القيد إما على رأى من يقول : إنه يعتبر عند النية لاعدمها فهو من الأول، ومنه الوضوء على مذهب الشافعية لأنه يعتبر عندهم عند وجود النية لاعدمها وهو يختلف باختلافها كما إذا توضأ للصلوة يكون طاعة ولوتوضأ للتقرب إلى الوثن يكون معصية، ومن الثاني على مذهب الحنفية فإنه يعتبر عندهم سواء كان مع النية أولا .[١١٧]

وكذلك نجده يعبر عن وجهاته الدينية وميوله إلى التضرع إلى الله حين يحلل الأحاديث النبوية ويزنها على قسطاس العقل والحكمة فهو يقول : وهذا الحديث أصل في الإخلاص الذي عليه مدار الدين ، قال الله تعالى : "وما أمرو إلا ليعبدوا الله مخلصين له

---

[١١٦] راجع مقالة عتيق الرحمن "خدابخش لائبريرى مين غلام على آزاد كى قلمى تصنيفات" مجلة معارف ج ١٢٦, ع ٤ ص/ ٩٢-٢٧٨.

[١١٧] ضوء الدرارى (مخطوطة) : ورق ١

الدين" [118]، وفي تحريم الرياء الذي هو محبط ثواب الخيرات، بل جاعل لها سببا للعقاب، وتحصيل الإخلاص في الأعمال والاحتراز عن الرياء فيها أمر صعب لا يقدر عليه إلا من أعانه الله عليه والله المعين، اللهم وفقنا لأحسن النيات في الأعمال، وجنبنا ردتها في جميع الأحوال، وإنما نحن بك ولك وإليك لاإله لنا غيرك [119].

وخلاصة القول أن ضوء الدرارى إضافة قيمة إلى خزينة الشروحات العديدة على صحيح البخاري التي يبلغ عددها إلى مئات، ولو أن آزاد اوصله إلى حد الكمال ليكون هذا الشرح من أهم مصادر الحديث في الهند والعالم الإسلامي .

٣ – شفاء العليل في اصلاحات كلام أبي الطيب المتنبى : لقد انتقد آزاد في هذا الكتاب ديوان شاعر العربية المشهور أبي الطيب المتنبى (٣٥٤هـ/ ٩٦٥م) وأورد فيه ماقام به من المؤاخذة على المتنبى . ولاندرى كيف ذكر الأستاذ محمد إسحاق البتى أن هذا الكتاب شرح بعض المصطلحات الموجودة في كلام المتنبى [120]، وكذلك ذكر الأستاذ وجاهت حسين اسمه "شفاء العليل في اصطلاحات أبي الطيب المتنبى" وبين أن آزاد تحدث فيه عن الإتجاهات الوطنية العربية للمتنبى وعن الاستعارات والتشبيهات التي استخدمها في شعره، وفيما يلي نص ما كتبه :

"In this work the peculiar phraseologies which one comes across in the poetry of al - Mutanabbi (d.354 A.H./965 A.D.) have been explained. His ardour for pro- Arab feelings and his metaphers and ingenious similies are also discussed. [121]

وهذا البيان بعيد عن الحقيقة اذ ان آزاد بنفسه يكتب في مقدمة هذا الكتاب أنه اراد من هذا الكتاب إصلاحات الأخطاء التي وردت في كلام المتنبى حيث يقول :

"الناقدون لكلامه (كلام المتنبى) والناثرون لنظامه اقتنعوا بتحرير ما رأوا فيه من الخلل، واقتصروا على تفسير ماوجدوا فيه من الخلل، ولم يلتفتوا إلى إصلاح ما فسد، وإيثار النافق على ماكسد، إلا أنهم أصلحوا قليلا من العثرات كما أبينه في ضمن هذه الصفحات، ولايخفى على الطبيب العارف بمعالجة الأمراض أن منصب الإصلاح أعلى

---

[118] القرآن الكريم ٩٨ / د .

[119] ضوء الدرارى (مخطوطة) ورق ٧٥

[120] راجع إلى كتابه فقهاى هند ج د حصه أول ص/ ٢٨٦

[121] JRASB, IIIrd Series, vol.II, 1936, p.124

وأرفع من منصب الاعتراض، فوقع في خاطرى أن أصلح ما في كلامه من الفساد، وأشفى ما في فلذ كبده من الكباد، وأسهل ما فيه من التعقيدات، وأبدل قدر الوسع سيئاته بالحسنات [١٢٢].

وهذا الكتاب أيضا غير مطبوع لو أنه يستحق أن يطبع من البلاد العربية التي تفتخروتعتز بشخصية المتنبى العبقرية حتى يتكشف هذا الباب من شاعريته، ولكن لم يعتن أحد بطباعته ونشره، وتوجد نسخة خطية له في المكتبة الشخصية للسيد على حسين البلكرامى في حيدر آباد [١٢٣]، وكذلك وجدت نسخة له في مكتبة دارالعلوم لندوة العلماء بلكناؤ، رقم المخطوطة ١٤٥٥ في خزينة السيد نور الحسن بن صديق حسن خان بخط النستعليق الذي كتبه بقلمه السيد نور الحسن خان الكليم .

وقد استفاد آزاد في هذا الكتاب من شرح "الواحدي" على ديوان المتنبى وكذالك من شرح "أبى الفتح ابن جنى" إلى بعض الأجزاء من قافية الراء، وقد ذكر في مقدمته له بأن يعد المتنبى من رواد الأدب العربي في العصر العباسى ولكن كلامه لم يخل عن الافراط والتفريط، وفيما يلي نص ما قال آزاد في هذا الخصوص :

:"إن أبا الطيب المتنبى رافع لألوية الأقلام، وأمير على امرأ الكلام، علا كعبه في اختراع المعاني النادرة، وطال باعه في اقتناص المقاصد الشاردة، إلا أن فيه إفراطا وتفريطا، وتنغيصا وتنشيطا، حيث صعد بعض كلامه إلى أعلى عليين، وهبط بعض آخر إلى أسفل السافلين، ومع هذا برعت معانيه العجيبة، وغلبت محاسنه الغريبة إلى أن سترن ما في كلامه من الوصمات، نعم "إن الحسنات يذهبن السيئات" [١٢٤].

وأما المؤاخذات التى أوردها آزاد على كلام المتنبى فإنها ترجع إلى عدة تساهلات وتسامحات جاء بها المتنبى، فمنها أخطاء نحوية أو لغوية، ومنها عثراته التي سترها بدليل ضرورة الشعر، ومنها الغموض اللفظي أو المعنوى .

---

[١٢٢] شفاء العليل (مخطوطة) ورق ١ مكتبة دار العلوم ندوة العلماء رقم المخطوطة / ١٤٥٥

[١٢٣] كما هو مذكور في اردو دائره معارف اسلامية ج ١ ص/ ١٠٨ مطبوعة دانش كاه بنجاب ! لاهور ١٩٨٠

[١٢٤] شفاء العليل (مخطوطة) ورق ١

ويجدربنا في هذا المقام أن نقدم أمثلة لبعض هذه المساوى ونذكر في هذا الصدد الإصلاحات التي قام بها آزاد .

فمن الأخطاء النحوية ما قاله المتنبى في قصيدة يمدح بهاه شجاع الطاقي :

أنى يكون أبا البرية آدم وأبوك والثقلان أنت محمد

يكتب آزاد : تقدير الكلام "أبوك محمد وأنت الثقلان" يريد كيف يكون آدم أبا البرية إذا كان أبوك محمدا وأنت الثقلين أى القائم مقام الإنس والجن، بل أبوالبرية حينئذ محمد والبرية أنت . قال ابن جنى : في إعراب هذا البيت تعسف حيث فصل بين المبتدأ الذي هو "أبوك" وبين الخبر الذي هو "محمد" بالجملة التي هي قوله "الثقلان أنت" وهي أجنبية . أقول : يمكن أن يصلح ويقال :

وأنت الورى فأبو الأنام محمد [١٢٥]

- وكذلك ارتكب المتنبى خطأ نحويا حينما قال :

خلت البلاد من الغزالة ليلها فأعاضهاك الله كى لاتحزنا

قال النحاة : "وإذا اجتمع الضميران، و لم يكن أحدهما مرفوعا وكان الإعراف مؤخرا لزم أن يكون منفصلا نحو أعطيته إياك، والمتنبى جاء به متصلا . فيقدم آزاد إصلاحا لهذا الشعر فيقول :

خلت البلاد من الضحا فأعاضها إياك رب الخلق كى لاتحزنا [١٢٦]

ثم أخذ آزاد على الخطأ اللغوي الذي ورد في شعر المتنبى وهو مطلع القصيدة التي يمدح بها شجاع الطائي :

اليوم عهدكم فأين الموعد هيهات ليس ليوم عهدكم غد

العهد اللقاء ، يقول لأحبته عند الوداع : " اليوم ألقاكم فأين موعد لقاءكم بعد الوداع"، ثم قال : "وليس ليوم لقاءكم غد لأنى لا أعيش بعد فراقكم، أو لأن الوفاء غير مرجومنكم ، فلاغد لى بعد هذا اليوم ". قال الواحدى : ولو قال "متى الوعد" كان أليق بما ذكر بعده، لأن "أين" سؤال عن المكان، و "متى" سؤال عن الزمان . يقول آزاد :

---

[١٢٥] شفاء العليل (مخطوطة) ورق ٨

[١٢٦] نفس المصدر ورق ٤٣

يمكن أن تقوم "أنى" مكان " أين"، وهى مشتركة بين معنى أين ومتى كما في القاموس.[١٢٧]

وكذلك أشار آزاد إلى الغموض اللفظى والمعنوى الذي ورد في شعر المتنبى وبخاصة في قصيدته المشهورة التي يمدح بها المتنبى أبا على هارون بن عبد العزيز حيث يقول :

مثلت عينك في حشائ جراحة فتشابها كلتاهما نجلاء

النجلاء الوسيعة توصف بها العين والجراحة . وقال الواحدى : يقول "لمانظرت إلى صورت في قلبى مثال عينك جراحة تشبه عينك في السعة" . ولم يقل تشابهتا حملا على المعنى كأنه قال : فتشابه المذكوران، ولم يقل نجلاوين لأن لفظة كلتى واحدة مؤنث كقوله تعالى "كلتاالجنتين آتت أكلها" . يقول آزاد : يمكن أن يصلح ويقال :

فتساوتا كلتاهما نجلاء [١٢٨]

وأما مساوى شعر المتنبى التى أنتجتها ضرورة الشعر فحاول أزاد أن ينقحها بذكر بدل أحسن لشعره، ومن أمثلة ذلك ماقاله المتنبى في أبيات يهجو بها شخصا :

خليلى ماهذا مناخا لمثلنا فشدا عليها وارحلا بنهار

أى فشدا رحالنا على الإبل . قال الواحدى : فى قوله "فشدا عليها" نوعان من الضرورة : حذف المفعول والكناية عن غير مذكور . يقول آزاد : يمكن أن يصلح ويقال:

فشدا رحالا وارحلا بنهار [١٢٩]

وكل هذا يدل على دقة نظر آزاد وبراعته الفنية التي استخدمها عند دراسة أشعار المتنبى الذي لم يكن من أعظم وأبرز شعراء العهد العباسي فحسب بل كان ولايزال يحظى بمكانة رفيعة في تاريخ الأدب العربي كله ومن الملاحظ إن آزاد لم يتخذ أسلوبا شنيعا غليظا في الإشارة إلى العثرات الفنية السالفة الذكر وإنما اتخذ منهجا أدبيا نقديا متينا حتى لايحط المتنبى من منزلته الأدبية بين أمثاله .

---

[١٢٧] نفس المصدر ورق ٧

[١٢٨] نفس المصدر ورق ٢٠

[١٢٩] نفس المصدر ورق ٤

وخلاصة القول أن هذا الكتاب يستحق أن يعد جوهرا ثمينا ولؤلوا قيما في قلادة الثروة الأدبية العربية التي يفتخر بها أهل الهند .

٤- شمامة العنبر فيما ورد في الهند من سيد البشر :

ألف آزاد هذا الكتاب في سنة ١١٦٢هـ/ ١٧٥٠م وذكرفيه الأحاديث التى ورد فيها اسم الهند وكذلك ذكر أقوال المفسرين والمحدثين المتعلقة بفضائل الهند . وقد وضع أزاد هذه الكتيبة في الباب الأول من كتابه الشهير " سبحة المرجان في آثار هندوستان" مع نتقيحات جديدة كما ذكرنا من قبل . ويجدر بالذكر هنا أن نسخا خطية له توجد في المكتبة الأصفية بحيدرآباد تحت المخطوطة رقم ٨٥٣ ، ٨٥٧ و ٨٥٩ [١٣٠]. وكذلك توجد نسخة له في مكتبة جامعة عليجراه الإسلامية رقمها ٤٨٠ في قسم الأدب .

٥- تسلية الفؤاد في قصائد آزاد :

هذا الكتاب يشتمل على بعض قصائد آزاد وكذلك على أحوال العلماء والأدباء الذين أنجتبهم أرض الهند . وقد وضع آزاد هذا الكتاب كجزء للباب الثاني من "سبحة المرجان في آثار هندوستان" كما يتبلور من قوله الآتى :

"تسلية الفؤاد ذكرت فيها بعض قصائدى وفوائدى أخرى، وقد نقلت منها تراجم العلماء ومطالب أخرى في هذا الكتاب" [١٣١].

وذكر الأستاذ محمد إسحاق البتى أن أكثر القصائد في هذا الكتاب في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم [١٣٢]. ولكن لم يمكن لي أن أطلع على أية نسخة له .

٦- كشكول :

يكتب عن هذا الكتاب الأستاذ شمس بريلوي أنه مجموعة من الأشعار المنتخبة التي جمعها آزاد في اللغة العربية والفارسية [١٣٣]، ولكن الأستاذ استورى يكتب عن هذا الكتاب قائلا : إنه وضع في ضمن المحاضرات العربية في فهرس المكتبة الآصفية وأن الأستاذ شمس

---

[١٣٠] Persian Literature : C . A. storey, vol 1. part 2, p. 859

[١٣١] سبحة المرجان : ج ١ ص/ ٣٠٨

[١٣٢] فقهائ هند : ج ٥ الجزء الأول ص/ ٢٨٦

[١٣٣] راجع مقدمته على الترجمة الأردية لمآثر الكرام : ص/ ٩٢

الله القادري صاحب قاموس الأعلام يعده من المؤلفات الفارسية لآزاد ومن الممكن أنه يشتمل على المقتطفات من كلتى اللغتين . وفيما يلي نص ما قال استورى :

(It is) Classed among the Muhadarat-i- Arabi in the Asafiyah catalogue . Shams Allah Qadri places it among Azad's Persian works. It may ofcourse certain extracts in both languages . [١٣٤]

ويكتب الدكتور فضل الرحمن الندوي إن هذا الكتاب يحتوي على موضوعات مختلفة اقتطفها المؤلف من كتب شتى وفيه تعليقات ومذكرات عن بعض الوقائع الهامة وننقل هنا ما قاله الندوي :

These are different subjects selected by the auther from many books . It, also, has some notes and daires about some of the important events .

ولعل هذا هو الكتاب الذي ذكر البروفيسور بروكلمان باسم "الأشكال" لدى كتابته عن مؤلفات آزاد في تاليفه الفرنسي المعروفGESCHICHTE DER ARABISCHEN LITERATURE [١٣٥].

ومن الملاحظ هنا أن الأستاذ عمر رضا كحالة صاحب "معجم المؤلفين" أيضا قد ذكر كتابا لآزاد باسم "الأشكال" [١٣٦].

وتوجد نسختان لهذا الكتاب بخط المؤلف في المكتبة الأصفية بحيدرآباد تحت المخطوطة رقم ٢٤٢ و ٢٦١ .

٧- مكاتيب المجدد للألف الثاني :

لانجد ذكرا لهذا الكتاب إلا عند الأستاذ مقبول أحمد الصمدني صاحب "حيات جليل" [١٣٧]. حيث يكتب أن آزاد قد ترجم إلى اللغة العربية بعض المكاتيب للشيخ أحمد السرهندي الملقب بالمجدد للألف الثاني .

وعلى كل حال فإن جميع هذه الكتب ان دلت على شئ فانما تدل على براعة آزاد في جميع العلوم والفنون الدينية والأدبية التي أراد أن يساهم فيها، وفي الحقيقة إن كتب آزاد كلها إضافة قيمة إلى ثروة النثر العربي في شبه القارة الهندية .

---

[١٣٤] Persian Literature : by C. A. Storey, vol. 1, part. ii, p. 862

[١٣٥] Geschichte der Arabischen Literature by Prof. C. Brockelmann, Supplemen ii, p. 600-601

[١٣٦] معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : ج ٨ ص/ ٤١

[١٣٧] راجع حيات جليل : ج ٢ ص/ ١٧٥

الفصل الثالث :

نظرة عابرة على مؤلفات آزاد الفارسية والأردية

وإذا درسنا ما تركه آزاد من آثار علمية وأدبية وجدنا أن أكثر مؤلفات آزاد كانت في اللغة الفارسية، ويرجع سبب ذلك إلى حقيقة أن اللغة الفارسية كانت لغة سائدة في شبه القارة الهندية في عصره، كما كانت لغة رسمية للدولة . فكان من الطبيعي لآزاد أن يساهم في تطوير هذه اللغة بتأليف كتب قيمة تعد من أهم المصادر الرئيسية لتاريخ أدبها في هذه البقعة من الأرض .وكذلك نعثر على شواهد تدل على أن آزاد ترك بعض آثاره باللغة الأردية أيضا .

فمن المناسب ههنا أن نقوم بدراسة وجيزة لهذه المؤلفات حتى تتبين لنا أهميتها ومكانتها في الآداب الهندية فنبدأ بمولفاته النثرية باللغة الفارسية، ثم المؤلفات الشعرية في هذه اللغة، وأخيرا نحلل تلك الشواهد التي تشير إلى مؤلفاته الأردية .

مؤلفاته النثرية بالفارسية :

١ – مآثر الكرام تاريخ بلكرام : هذا الكتاب من أهم المصادر التاريخية لأحوال العلماء والفضلاء من الهند عامة ومن بلكرام خاصة كما ذكرنا من قبل، بدأ آزاد في تاليف هذا الكتاب حينما كان يسكن في موطنه بلكرام إذ وقع في نفسه أن يرتب تاريخا لعلماء بلكرام وفضلائها وفقرائها وشعرائها ولكن حال سفره للحج دون تكميل هذا الكتاب، ثم حينما عاد من الحرمين الشريفين وأقام في أورنك آباد بجنوب الهند استجلب مسودة الكتاب من بلكرام وقام بتكميله في مجلدين سمى أوله "مآثر الكرام" والثاني "سروآزاد" يذكر الدكتور تشارلس ريو (CHARLES RIEU) أن آزاد اكتمل هذا الكتاب في سنة ١١٦٦ هـ وأرخ سنة تكميله بـ "ختامه مسك" [١٣٨].

---

[١٣٨] Catalogue of Persian Mnuscripts in British Museum by RieU Vol. iii, p. 971

ينقسم هذا الكتاب إلى فصلين : فالفصل الأول يحتوي على ترجمة ٨٠ شخصا من الصوفية والمشائخ، ومن هؤلاء الصوفية ينتمى ٦١ إلى بلكرام و ٥ إلى غجدوان والبقية من الهند عامة، وقد عد آزاد الملا عبد القادر البدايوني الذي كان مؤرخا كبيرا في عهد أكبر والشيخ محمد حيات السندي المحدث الذي كان استاذا لآزاد في المدينة المنورة من الصوفية والمشائخ في هذا الكتاب .

والفصل الثاني يشمل أحوال ٧٣ من العلماء والعظماء الذين انجبتهم أرض الهند و ٣٠ منهم أيضا من بلكرام، وقد ذكر آزاد أحوال حياته في كلا الفصلين، ولكن الأمر المثير للعجب هو أن بعض العلماء المشهورين في عصر آزاد من مثل الشاه ولي الله الدهلوي والشيخ أحمد السرهندي لم يحظوا بعناية آزاد في هذا الكتاب .

وقد استفاد آزاد في تاليف هذا الكتاب كثيرا من المآخذ التاريخية الهامة التي تيسرت له، ومن الملائم ههنا أن نذكر تلك المصادر حتى يتجلى مدى تحقيق آزاد وبحثه في أحوال هؤلاء العلماء والفضلاء :

مرآة المبتدين للشريف البلكرامي، وأخبار الأصفياء لعبد الصمد، وكلزار أبرار للغوثي، وسبع سنابل للسيد عبد الواحد البلكرامي ، ونفحات الأنس للجامي، ودبستان المذاهب لذى الفقار المؤبد، ومنتخب التواريخ للملا عبد القادر بدايوني، ونفائس المآثر لمير علاء الدولة، ولسان الزمان لشيخ محمد عقلية المكي، وأعلام الأنام للشيخ محمد يحي إله آبادي، وأحوال مشائخ السند للسيد الشريف، وطبقات الكبرى للشعراني، ومعارج الولاية لعبد الله الخويشكي، ومرآة العالم لبختاور خان، وتحفة شرح منهاج لابن حجر المكي، وأخبار الأخيار للشيخ عبد الحق، وتاريخ فيروز شاهي للبرني، وتاريخ الطبري، وكشف الظنون، وتاريخ مشائخ السند وغيرها كثير[١٣٩].

٢- سرو آزاد :

هذا الكتاب في الحقيقة هو المجلد الثاني لمآثر الكرام ذكر فيه شعراء بلكرام خاصة وشعراء الهند عامة، ويشتمل هذا الكتاب أيضا على فصلين، فالفصل الأول يحتوي على

---

[١٣٩] ذكر هذه المصادر الأستاذ محمد أيوب القادري في مقدمة له على الترجمة الأردية لمآثر الكرام ص/ ١١

١٤٣ من الشعراء الفارسيين من الهند و ٢٩ منهم ينتمون إلى بلكرام، والفصل الثاني يشمل تراجم الشعراء الذين كانوا يقرضون الشعر باللغة الهندية (أى الأردية) وهم ٨ شعراء وكلهم من بلكرام . وقد أورد آزاد نماذج من شعر كل من هؤلاء الشعراء .

ومما يجدر بالذكر أن آزاد ذكر في هذا الكتاب أولئك الشعراء المتأخرين الذين ولدوا أو ماتوا بعد سنة ١٠٠٠ من الهجرة، وفيما يلي ما كتبه في هذا الصدد في مقدمته على هذ الكتاب :

راقم اوراق درين صحيفه جمع از قافيه سنجان متاخرين را كه ابتدائ ظهور تا انتهائ وجود ايشان بعد از هزار (١٠٠٠) هجرى است بز صدر بيان نشاند، وبعد ازان موزونان بلكرام را رونق اين انجمن ميكرداند [١٤٠].

٣–يد بيضاء : هذا الكتاب أيضا في تذكرة الشعراء الفارسيين القدامى والجدد ألفها أولا في سنة ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م حينما كان في سيوستان بالسند، وأعطا الله القبول والشهرة عند العلماء والأدباء وانتشرت نسخه في مختلف أرجاء الهند، ولكن آزاد وجد موادا جديدة حينما كان في إله آباد فألغى النسخة الأولى وقام بترتيب نسخة جديدة بإضافة تنقيحات مستحدثة في سنة ١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م وأرخ لهذه السنة بـ "طبع كليم يد بيضاء نمود " [١٤١].

يشتمل هذا الكتاب على تراجم ٥٣٢ شاعرا وفقا للترتيب الأبجدي، وقد ذكر في مقدمته أنه وجد موادا مزيدة جديدة بعد رجوعه من الحرمين الشريفين فأرسلها إلى بعض أصدقائه ليدخلها في نسخة الكتاب [١٤٢].

٤– خزانه عامرة :

ألف آزاد هذا الكتاب في سنة ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م حينما طلب منه ابن أخيه السيد أولاد محمد أن يرتب تذكرة للشعراء الذين مدحوا الملوك والأمراء ونالوا جوائز قيمة منهم بمدحهم إياهم، فذكر فيهم ١٣٥ شاعرا من الهند وإيران ممن يقع في هذه الطبقة

---

[١٤٠] راجع مقدمته على سرو آزاد مطبع دخاني رفاه عام ، لاهور ١٩١٣

[١٤١] محمد اسحاق البتي : فقهائ هند ج ٥ الجزء الأول ص/ ٢٨٠

[١٤٢] نقلا عن مقالة وحاهت حسين في JRASB IIIrd SERIES, VOL. II, 1936, P. 129

مرتبا حسب الأبجدية، وكذلك أورد فيه أحوال نظام الملك آصف جاه ونظام الدولة ناصر جنك وامير الممالك السيد محمد خان وبعض معاصريه . يكتب الأستاذ محمد اسحاق البتى أن المؤرخين الأوربيين كانوا يعتمدون على هذا الكتاب لموثوقيته في التاريخ [١٤٣].

وقد ذكر آزاد في مقدمته أنه اعتمد على كثير من الكتب التاريخية لجمع المواد لهذا الكتاب، ونذكر فيما يلي بعضا منها :

١- لب لباب لمحمد عوفي

٢- تذكرة دولت شاه

٣- تذكرة سامي (تاليف سنة ٩٥٧هـ)

٤- خاتمة خلاصة الأشعار لتقي كاش

٥- هفت أقليم (تاليف سنة ١٠٠٠هـ)

٦- منتخب التواريخ للملا عبد القادر البدايوني

٧- مجمع الفضلاء من نشاة الشعر الفارسي إلى عهد أكبر للملا البقائى

٨- تذكرة مرزا طاهر نصير آبادي (تاليف ١٠٨٣)

٩- مرآة الخيال لشير خان (تاليف ١١٠٢)

١٠- كلمة الشعراء

١١- همیشه بهار لإخلاص شاهجهان آبادى (تاليف ١١٣٦هـ)

١٢- حياة الشعراء لمحمد على خان متين الكشميري

١٣- سفينئه بے خبر لمير عظمة الله بےخبر البلكرامى (تاليف ١٤١١هـ)

١٤- يد بيضاء لآزاد نفسه

١٥- رياض الشعراء لعلي قلي خان داغستاني (تاليف ١١٦١هـ)

١٦- مجمع النفائس لسراج الدين على خان آرزو (تاليف ١١٦٤هـ)

١٧- عرفة ، تذكرة تقى أوحادي الأصفهاني

١٨- تذكرة محمد على خازن (تاليف ١١٦٥هـ)

---

[١٤٣] فقهائ هند ج ٥ الجزء الأول ص/ ٢٨٢

١٩- سرو آزاد لآزاد (تاليف ١١٦٦هـ)

٢٠- تذكرة بيےنظير للسيد عبد الوهاب افتخار الدولة آبادى (تاليف ١١٧٢هـ)

٢١- مردم ديده للشاه عبد الحكيم حاكم اللاهوري (تاليف ١١٧٥هـ/ في أورنك آباد [١٤٤].

ويجدر بالذكر هنا أن هذه الكتب الثلاثة لآزاد "يدبيضاء" و"خزانة عامرة" وسر وآزاد" تعد من المصادر الأساسية لتاريخ الشعراء الفارسيين الذين نشأوا في بلاد الهند ومساهموا في تطوير الشعر الفارسي في هذه البقعة من الأرض .

٥ – سند السعادات في حسن خاتمة السادات

هذه رسالة صغيرة تحتوى على ٣٢ صفحة جمع فيها آزاد تلك الأحاديث وأقوال العلماء والمفسرين التي تشير إلى حسن خاتمه السادات الذين ينتهى نسبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أن دخولهم الجنة محتوم وثابت . ولا يمكن لنا أن نتأكد من صحة تلك الأقوال والأحاديث التي ذكرها آزاد لأن هذا الكتاب لم تيسر لنا حتى نقوم بدارسة تحليلة له، ولكن الأستاذ وجاهت حسين يقول إن بعض المؤلفين الآخرين قبل آزاد ايضا أعربوا عن مثل هذه الآراء واستدلوا بأقوال القدماء على نظريتهم ، ومن هؤلاء العلماء نذكر محي الدين ابن العربي (م ٦٣٨ هـ ١٢٤٠ م) الذي ألف كتاب "السوائق المحرقة"، والقاضي شهاب الدين الدولت آبادي (م ٨٤٩ هـ ١٤٤٥م) الذي وضع كتابا له باسم مناقب السادات "في هذا الموضوع" [١٤٥] .

والجدير بالذكر أن الأستاذ عمر رضا كحالة صاحب معجم المؤلفين ذكر اسم هذا الكتاب "السندات التامات في حسن خاتمة السادات" [١٤٦] وكذلك يذكر الأستاذ إسماعيل باشاه البغدادي في كتابه "هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين" [١٤٧] أن

---

[١٤٤] CatAlogue of Persian Manuscripts in British Museum , vol. I, p. 373- 74

[١٤٥] راجع مقالة وجاهت في : JRASB, III RD SERIES, VOL II, 1936, P. 127 .

[١٤٦] معجم المؤلفين ج ٧ ص ٣٣ - ٣٢ .

[١٤٧] هدية العارفين ج ١ ص ٧٧٠ .

اسم هذا الكتاب السند التامات في حسن خاتمة السادات، ولكنه جمع بين هذين الاسمين في كتابه الآخر "إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون" [١٤٨] فيذكر اسمه "السند (السندات) التامات في حسن خاتمة السادات"، والحقيقة أن اسمه سند السعادات في حسن خاتمة السادات" لأن آزاد نفسه يذكر هذا الاسم في كتابه "سبحة المرجان" [١٤٩] .

٦ – روضة الأولياء

هذه أيضا رسالة صغيرة تشتمل على تراجم عشرة من الأولياء الذين دفنوا في " روضة خلد آباد" التي تقع قريبا من دولت آباد في جنوب الهند . يكتب الأستاذ استورى أن آزاد ألف هذه الرسالة في سنة ١١٦١ هـ / ١٧٤٨ م وبدأها بسيرة الغريب الحنساوي وذكر في آخرها نبذة من حياة نفسها كما كان عادته في أكثر مؤلفاته [١٥٠] .

وجميع هذه الكتب الستة لآزاد مطبوعة من مطابع شتى من الهند وباكستان .

٧ – غزلان الهند

هذا الكتاب أصلا ترجمة فارسية للباب الثالث والرابع من "سبحة المرجان في آثار هندوستان" نقلهما آزاد إلى اللغة الفارسية في سنة ١١٧٨ هـ / ٥ – ١٧٦٤ م على طلب من صديقين له وهما عبد القادر مهر بان الأورنك آبادي ولكشمى نارئن شفيق، ولكن شفيق يذكر في كتابه الشهير "كل رعنا" أن آزاد ترجمه إلى الفارسية على التماس من مهربان، و لم يذكر انه هو الآخر أيضا وجه إلى آزاد هذا الالتماس [١٥١] .

وقد ذكرنا من قبل أن الباب الأول والثاني من سبحة المرجان" نقلهما إلى الفارسية السيد شمس الدين بن شاه وارث على الحسيني البنارسي على طلب من ملك بنارس راجه إيسرى برساد .

---

[١٤٨] بايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ج ٢ ص ٢٨ .

[١٤٩] راجع سبحة المرجان ج ١ ص ٣٠٩ .

[١٥٠] Persian Literature : by c.a. story, vol i. part ii, p. 863.

[١٥١] نقى عن مقالة عبد الرزاق قريشي في مجلة معارف ج ٨٩ ع ٢ .

ومن العجيب أن هذا الكتاب لم يطبع حتى الآن فيما اعلم، مع أهميته الأدبية ومكانته في علم البديع، وتوجد نسخ خطية له في مكتبة ندوة العلماء في مجموعة التذاكر وفي مكتبة عليجراه الإسلامية والمكتبة الأصفية بحيدر آباد .

٨ – شجره طيبه

قد ذكر آزاد في هذا الرسالة شجرة النسب لسادات بلكرام وتاريخهم وبعض أحوالهم – يكتب الأستاذ عتيق الرحمن في مقالة له عن مخطوطات آزاد في مكتبة خدابخش ببتنة (ولاية بيهار) أن آزاد قد نقل في بداية هذه الرسالة بعض الأحاديث التي تصب لعنة الله على الذين يشتغلون بتحريف الأنساب مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم"لعنة الله على الداخل النسب ولعنة الله على الخارج النسب" ، ثم ذكر تاريخا موجزا لقريش وآل النبي صلى الله، وفي ضمنه ذكر بعض الأحوال لسيدنا على بن طالب وابنيه الحسن والحسين رضى الله عنهم، ثم ذكر شجرة النسب لسادات بلكرام [١٥٢] .

وقد أثار الشيخ غلام حسن ثمين الشكوك والشبهات في ثقة هذه الرسالة وصحتها التاريخية في كتابه المشهور "شرائف عثمانى"، وشن عليها نقدا لاذعا بأن آزاد جمع فيها أقوالا غير صحيحة [١٥٣] ولا يمكن لنا أن نصدق قول ثمين لأسباب ذكرناها من قبل .

وتوجد نسخة خطية لهذه الرسالة في مكتبة خدابخش في بتنة والمكتبة الآصفية ومكتبة جامعة عليجراه الإسلامية .

٩ – أنيس المحققين

هذا الكتاب في أحوال بعض الصوفية والمشائخ، ولا نجد أحدا يذكر هذا الكتاب إلا الدكتور فضل الرحمن الندوي حيث يكتب عنه أنه يحتوى على ٨٧ صفحة ويحتوى على أربعة أبواب؛ فالباب الأول يبحث في أحوال مير محمد الذي كان يقطن كالبي (KALPI)، والباب الثاني يشمل أحوال ابنه أحمد، والباب الثالث يستعرض سيرة مير لطف الله البلكرامي المعروف "بالشاه لدها" الذي بايع عليه آزاد والذي كان ينتمى إلى

---

[١٥٢] راجع مقالة عتيق الرحمن في مجلة معارف ج ١٢٦ ع ٤ ص ٩٢ – ٢٩١ .

[١٥٣] نقلا عن تنقيح الكرم في تاريخ خطة باك بلكرام محمد محمود البلكرامى ج ١ ص ٤ .

السلاسل الصوفية الخمس وهي الجستية والقادرية والنقشبندية والسهروردية والمدرية، والباب الأخير يشتمل على بعض مكاتيب مير لطف الله ومحاضراته [١٥٤] .

والجدير بالذكر أنى وجودت نسخة لهذا الكتاب في خزينة حبيب الرحمن خان الشرواني في مكتبة جامعة عليجرة الإسلامية، وكذلك توجد نسخة له في المكتبة الآصفية.

١٠ – تذكرة صوبه داران أودهـ

هذا الكتاب في سيرة بعض الأمراء والحكماء من حيدر آباد وأودهـ الذين عاشوا في عهد آزاد، ويبدو أن بعض الناس اقتطفوا بعض المعلومات التي تتعلق بأحوال هؤلاء الأمراء من كتابه الشهير "خزانة عامرة" وجمعها في كتاب مستقل باسم "تذكرة صوبه داران أودهـ"، يؤيد هذا القول ما كتبه الأستاذ بلاك مين في فهرس مكتبة خدابخش عن هذا الكتاب حيث يقول :

The Subahdars of Audh and Haidarabad. An extract from the Khazanah-i- Amirah by Gulam Ali azad. [155]

وكذلك نجد عبارة في خاتمة هذا الكتاب مما يدل على أنه جزء منقول من " خزانة عامرة" يتعلق بالتاريخ وأنه قد نقل في ذي الحجة سنة ١٢٠٣ هـ [١٥٦] .

وتوجد نسخة خطية لهذا الكتاب في مكتبة خدابخش في بتنة .

١١ – شرح قطعة نعمت خان عالي

هذه الرسالة حاشية تفسيرية مع شرح الكلمات العسيرة على قصيدة هجائية لنعمت خان عالي الذي كان شاعرا عظيما في عهد الملك عالمكير أورنك زيب، وقد ضمن آزاد هذه الرسالة في كتابه خزانة عامرة .

لا نجد أحدا يذكر هذه الرسالة إلا الدكتور فضل الرحمن الندوي [١٥٧] مع أنه توجد نسخة خطية له في المكتبة الآصفية بحيدرآباد .

---

[١٥٤] راجع مقالة نصل الرحمن الندوي على سبحة المرجان ص ١٣ - ١٢ .

[١٥٥] نقلا عن مجلة معارف ج ١٢٦ ٤٤ ص ٢٨٩ .

[١٥٦] نفس المصدر .

[١٥٧] في مقدمة له على سبحة المرجان ص ١٥ .

١٢ – الأمثلة المترشحة من القريحة

ذكر الأستاذ إسماعيل باشاه البغدادي [١٥٨] والأستاذ عمر رضا كحالة [١٥٩] هذا الكتاب ولكنهما لم يذكرا شيئا بما يدل على موضوع ومحتويات هذا الكتاب، فهل هي في اللغة العربية أو الفارسية أو في غيرهما؟ لا يمكن لنا أن نحكم على هذا لأننا لم نجد أحدا سواهما يذكر هذا الكتاب كما لم نجد أية نسخة له .

١٣ – مآثر الأمراء

هذا الكتاب أصلا تأليف الأمير شاهنواز خان الملقب بصمصام الدولة ذكر فيه تراجم الأمراء والوزراء والحكماء وأهل القضاء في عصره، ويعد هذا الكتاب مرجعا تاريخيا أساسيا لفن التاريخ ، ولكن لم يقدر لصمصام الدولة أن ينهى هذا الكتاب إلى الكمال حتى قتل وهدم بيته وفضاعت نسخة هذا الكتاب، ثم جاء آزاد الذي كان صديقا حميما لصمصام الدولة فوجد هذه النسخة ورتبه ترتيبا جديدا مع إضافة بعض الفوائد من مثل ترجمة المؤلف ومقدمة الكتاب. يكتب عن هذا الكتاب الدكتور إيليوت :

The work was commenced by Shah Nawaz Khan, but he left it unfinished, and in the turbulent scenes which succeeded his death, his house was plundered and his manuscript scattered in various dimentions.It was considered lost till Mir Gulam Ali Azad collected the greater portions of the missing leaves, and restored the work of its entire form with a few additions amongst which was the life of the author, and a preface which gives an account of the work. [160]

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية الأستاذ بيورج (H. BEVERIDGE) في مجلدين ضخمين .

مؤلفات آزاد الشعرية باللغة الفارسية

لقد ترك آزاد عددا كبيرا من مجموعات القصائد في اللغة الفارسية ما عدا تأليفاته النثرية الكثيرة، ونستعرض هنا هذه المجموعات بمنتهى الإيجاز :

---

[١٥٨] في كتابه هدية العارفين ج ١ ص ٧٧٠ ، وكذلك في كتابه إيضاح المكنون ج ١ ص ١٢٦ .

[١٥٩] في كتابه معجم المؤلفين ج ٧ ص ٣٣ .

[١٦٠] The History of India as told by its own Historians, by H.M.Elliot, vol.VIII, p.188

١ – ديوان آزاد

هذا ديوان أشعاره الذي رتبه في سنة ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م وهو مرتب على ترتيب الأبجدية ويشتمل على مختلف أصناف الشعر من الغزل والرباعيات والتاريخات – وقد طبع هذا الديوان في حيدر آباد في سنة ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣ م .

٢ – مثنوي تتمة أمواج الخيال

هذه تتمة للقصيدة المعروفة بأمواج الخيال لجد آزاد السيد عبد الجليل المبلكرامي التي قرضها في مدح قرية بلكرام، فأضاف آزاد بعض الأشعار إلى هذه القصيدة في سنة ١١٣٨ هـ / ١٧٢٥ م [١٦١] .

وتوجد نسخ خطية لهذه القصيدة في مكتبة جامعة عليجراه الإسلامية وفي المكتبة الآصفية بحيدر آباد .

٣ – مثنوي سرا بائـ معشوق

يكتب استورى أن هذه القصيدة هي في الحقيقة قصيدة آزدا المشهورة "مرآة الجمال" باللغة العربية التي تشتمل على ١٠٥ شعر في تشيب النساء وبيان حسن اعضاءهن وهي تشتمل على ١٢١٨ شعرا وليست هذه الأشعار لآزاد فقط بل إنه انتخب أشعارا للشعراء الفارسيين في هذا الموضوع وأضاف إليها بعض قرائضه ويكتب الأستاذ عبد الرزراق القريشي أن فيه قصائد للأمير خسرو نظامي وجامي وعصامي وهاتفي وندروي وناظم وغزالي وكليم وقدسى وأقدس وأشرف ومنير وناصر على وراسخ ورضا وفيض والسيد عبد الجليل [١٦٢] كل من هؤلاء شعراء مفلقون باللغة الفارسية .

٤ – بياض أشعار آزاد

هذه مجموعة قصائد فارسية للشعراء المشهورين من مثل فيض وجلال عصير، وتوجد نسخة خطية له في مكتبة ندوة العلماء .

---

[١٦١] راجع مقدمة فضل الرحمن الندوي على سبحة المرجان ص ١٤ .

[١٦٢] Persian Literature : by C.A. StrjK not I , part ii , p. 862.

٥ – قصيدة في تعزية عبد الجليل

قرض آزاد هذه القصيدة في رثاء جده وأستاذه السيد عبد الجليل البلكرامي الذي توفى سنة ١١٣٨ هـ وهي تشتمل على ١٠١ شعر، ومن ميزة هذه القصيدة أن كل مصرع من أبيات هذه القصيدة تؤرخ سنة وفاته (١١٣٨ هـ) .

وتوجد نسخة خطية لها في مكتبة جامعة عليجراه الإسلامية .

٦ – مثنوي در صفت مدينة طيبة

هذه القصيدة في مدح المدينة المنورة قرضها آزاد في سنة ١١٥١ هـ – وتوجد نسخة لهذه القصيدة أيضا في مكتبة جامعة عليجراه والإسلامية .

مؤلفات آزاد الأردية

يكتب الأستاذ مقبول أحمد الصمدنى أن آزاد ألف كتابا ممتعا باللغة الأردية باسم "كربه نامه" ذكر فيه قصة للقط والفار ليتمتع به عامة الناس ولا سيما الأطفال واستخدم فيه اللغة الأردية القديمة وأورد فيه بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية [١٦٣] وكذلك يذكر وجاحت حسين هذا الكتاب ويعده من أجود وأروع ما كتب في اللغة الأردية خلال المأة وخمسن السنة، وفيما يلي نص ما كتب عن هذا الكتاب :

It is a very interesting story of a cat who spent her life in feasting on rats and then went on pilgrimage to atone for her sins though she would not mend her ways. The story serves as an advice to men to be on gaurd against decieving people who are wicked by nature. The characters chosen for it are animals as in the case of the books of the same genre, Kalilah wa Dimna, etc. It is one of the best pieces of Urdu literature dating from 150 years. [164]

وكذلك ذكر لاله سرى لام أيضا هذا الكتاب من تأليفاته الأردية [١٦٥] وعلى أن السيد وجاهت حسين ذكر هذا الكتاب باسم "بلى نامه" ولا فرق بينه وبين "كربه نامه" من حيث المعنى . ولكنه ذكر أن هذا الكتاب طبع من قبل مطبعة نول كشور في كانبور

---

[١٦٣] حيات جليل ج٢ ص ١٧٦ .

[١٦٤] JARSB. II RD SERIES, VOL. II, 1936, P. 129 - 30

[١٦٥] لاله سرى رام : ضمخانه جاويد ج ١ ص ٢٦ .

سنة ١٨٧١ م وكذلك طبع هذا الكتاب في مجلة عالمكير" باهتمام السيدة خدر بانو خيري في سنة ١٩٣٥ .

ولكن بعض المحققين يثيرون الشكوك والشبهات عن تأليف آزاد لهذا الكتاب وفي مقدمتهم الدكتور فضل الرحمن الندوي الذي يكتب في هذا الصدد ما نصه .

However, the evidence regarding Azad,s Urdu authorship is of an extremely doubtful nature, and canot be given much eredence. [166]

ثم إن الأستاذ محمد إسحاق البتي يكتب أن مؤلف هذا الكتاب في الحقيقة هو آزاد الأمروهوي وليس بآزاد البلكرامي [١٦٧] ومهما يكن من أمر لا يمكن لنا أن نحكم على عدم تأليف آزاد بالأردية بالجزم معتمدا على أقوال هؤلاء المحققين، ويجدر بالذكر هنا أن نسخة لهذا الكتاب توجد في مكتبة جامعة عليجرة الإسلامية .

هذا فيما يتعلق بتأليف آزاد للكتاب"كربه نامه"، وأما قول بعض الناس أن آزاد ترك ديوانا باللغة العربية فيحتاج إلى التحقيق، فقد ذكر الأستاذ عبد الرزاق القريشي في مقالة له عن آزاد أن آزاد لم يذكر في مؤلفاته أنه كان يقرض الشعر باللغة الأردية ولا نجد أحدا من المؤرخين لسيرته ينسب إليه الشعر الأردوي [١٦٨] ثم إن الأستاذ مقبول أحمد الصمدني يكتب أن آزاد كان يعد قرض الشعر الأردوي أدنى وأسفل من درجته ومكانته[١٦٩] .

ولا ندرى كيف وصل هذان العالمان إلى هذه النتيجة، لأن الحقيقة هي أن آزاد بنفسه ذكر في كتابه" سبحة المرجان" في ضمن ترجمة مسعود بن سعد اللاهوري أنه ماهر بالشعر الأردي أيضا، وفيما يلي نص ما قال : هو مثلى عارف بالألسنة الثلاثة ، وصاحب ثلاثة دواين العربي والفارسي والهندين وأنا صاحب الديوانين العربي والفارسي وما لي في الهندي ديوان ولكني ماهر بالشعر الهندي وفائقه [١٧٠] .

---

[١٦٦] مقدمة فضل الرحمن على سبحة المرجان ص ١٦ .

[١٦٧] راجع كتابه فقهائے هند المجلد الخامس، الجزء الأول، ص ٢٨٨ .

[١٦٨] راجع مقالته في مجلة معارف ج ٨٩ ع٢ ص ١٣١ .

[١٦٩] حياة جليل ج ٢ ص ١٦٧ .

[١٧٠] سبحة المرجان ج ١ ص ٦٨ .

وقد أورد أسد علي خان تمنا الأورتك آبادي بعض أشعار آزاد باللغة الأردية وذكر أنه اقتطف هذه الأشعار من ديوان آزاد . فيكتب في كتابه "كل عجائب" في ضمن ترجمة آزاد : أشعار يكه ازديوان فصيح البيان او التقاط واقتباس يافتة، بر نظار كيان اين سير گاه جنين عرض ميشود :

باغ مين جانا هے ميرا كام/كا شوق هـ مجهكو گلابى جام كا [١٧١]

وكذلك ذكر الأستاذ لاله سر رام بعض أشعار آزاد بالأردية ونقل هنا بعضا منها:

جسكى ٹهوكر سے مسيحائى هو اسكے لب كو مين
گرلبِ عيسى سے دوں تشبيه تو هے تحقير لب
ياد كى تحريك سے هلتے جو ديكها برگِ گل
پهر گئى اس بت بنے كى آنكهون مين تصوير لب [١٧٢] .

هذه الأقوال إن دلت على شيء فإنما تدل على أن آزاد كان يقرض الشعر باللغة الأردية أيضا، ولو أن آزاد ذكر في "سبحة المرجان" أنه لم يرتب ديوانا باللغة الأردية، ولكن يمكن لنا أن تعتمد على قول "تمنا" أن لآزاد ديوانا بالأردية لأن آزاد ألف سبحة المرجان في سنة ١١٧٧ هـ وعاش آزاد بعد تأليفه ٢٣ سنة فلا نستبعد أن آزاد رتب ديوانا أرديا في آخر حياته، ثم إن "تمنا" أحد من تلاميذ آزاد فلا نجد سببا لإنكار قوله في هذا الصدد .

---

[١٧١] أسد علي خاني تمنا : كل عجائب ص ٣ .

[١٧٢] لاله سرى رام : خمخانه جاويد ج ١ ص ٣٧ - ٣٦ .

الباب الثالث

مساهمة آزاد في الشعر العربي

الفصل الأول : الأعمال الشعرية لآزاد

الفصل الثاني : خصائص شعر آزاد الفنية

الفصل الثالث : مكانة آزاد في تاريخ الشعر العربي في الهند

الفصل الأول :

الأعمال الشعرية لآزاد

إن مما لاشك فيه أن غلام علي آزاد من أعظم وأكبر الشعراء الهنود الذين لهم باع طويل في الشعر العربي لأن بلاد الهند لم تنجب شاعرا -في أي عهد من عهود الفن والثقافة- له يد في الشعر العربي ويتصف بغزارة مادته الشعرية وكثرة قريضه مثل ما كان آزاد، وقد أبدى هذه الحقيقة هو نفسه في "سبحة المرجان" فيقول : "وما ظهر في الهند قبلي من يكون له ديوان عربي، ومن يكون له شعر عربي على هذه الحالة" [1]. ولكن الأستاذ أبا محفوظ الكريم المعصومي ينكر أولية آزاد في ترتيب الديوان العربي حيث يقول:

"أما الحكم بأن الهند لم تشهد شاعرا له ديوان عربي قبله فليس بصحيح، إذ أن مسعود اللاهورى ممن عرف كشاعر له ديوان عربي واعترف به المؤرخون جميعا، غير أن ديوانه فقد لعدم اكتراث الناس به، ولايوجد نموذج من كلامه العربي سوى عدة أبيات، وقد كان محمد مومن الشيرازي شاعرا له ديوان شعر عربي، كما ذكره العلامة آزاد في طبقة شعراء العربية في الهند، واعترف بديوان شعره العربي" [2].

ولعل آزاد أراد بهذا القول "من بقى له ديوان عربي" ومهما يكن من أمر لايمكن إنكار هذه الحقيقة أنه لايعرف لأحد من شعراء الهند من يكون له الشعر العربي بهذه الكثرة والمثابة مثل ما كان لآزاد، فقد كان آزاد شاعرا مطبوعا حاضر البديهة، قد منحه الله قدرة على النظم بحيث كان ينظم قصيدة كاملة في يوم واحد، بل في بعضه على كيفية يراها الناظرون، يذكر هذه البداهة السيد عبد الحئ الحسنى فيقول : "كلما يتوجه آزاد إلى النظم تحضر المعاني لديه صفا صفا، وتتمثل بين يديه فوجا فوجا" [3]. فقد ترك آزاد عشرة دواوين وكل منها يشتمل على مئات من الأشعار، وكذلك ترك سبعة دفاتر

---

[1] سبحة المرجان : ج ١ ص/ ٣٠٩

[2] راجع مقالة المعصومي في ثقافة الهند : ج ١٧ ع١ ص/ ١٠٣

[3] نزهة الخواطر : ج ٦ ص/ ٢٠٤

"لمظهر البركات"وهي مجموعة القصائد المزدوجة والمزدوجة - كما يحددها آزاد - من أقسام الموزونات حق للسان الفارسي، فإنها فيه طبيعية تأتى عفوا بلا تكلف، وضعها شعراء الفرس بنظم القصص والأخبار وسموها المثنوي، أما اللسان العربي فهي فيه غير طبيعية لاتأتى إلا بالتحشم، كما أن القصيدة في اللسان الهندي غير طبيعية ليس وجودها فيها أصلا [٤].

وكذلك نجد له بعض القصائد الأخرى مثل "مرآة الجمال" ومجموعة المدائح النبوية باسم "أوج الصبا في مدح المصطفى"، وفيما يلي نستعرض جميع هذه الدواوين والمجموعات بدراستها دراسة تحليلية حتى تتبلور مساهمة آزاد في الشعر العربي في شبه القارة الهندية .

١- السبعة السيارة : هذه مجموعة دواوينه السبعة الأولى، يكتب آزاد عن ترتيب هذه الدواوين في مقدمة على الديوان السابع :

"إنى صرفت العصر في مذاكرة العلوم العربية، وشمرت الذيل في مزاولة الفنون الأدبية، ونظمت من الخرائد ما يجلو نواظر البصراء، وجمعت من الفرائد ما تقر عيون الأدباء، إلى أن رتبت بعونة تعالى سبعة دواوين، ووزنت الجواهر الزامرة بسبعة موازين، وسميت الدواوين السبعة "بالسبعة السيارة"، وجلوت الكواكب الثواقب على ذوى البصيرة والبصارة" [٥].

ويجدر بالذكر هنا أن نسخة لهذه المجموعة من الدواوين توجد في خزينة الدكتور عبد العلي في مكتبة لندوة العلماء تحت المخطوطة رقم ١٤٤٤بخط النستعليق وهي تشتمل على ٤٠٨ ورقا، وتوجد نسخة اخرى لها في خزينة نجم الحسن بن صديق حسن خان في نفس المكتبة تحت المخطوطة رقم ١٤٤٥ بخط النسخ وهي تشتمل على ٣٤٤ ورقا وتضمن قصيدة آزاد المشهورة باسم "مرآة الجمال" وقد ثبت عليها خاتم النواب صديق حسن خان .

---

[٤] مظهر البركات (مخطوطة) ص/ ١ مكتبة دار العلوم لندوة العلماء تحت المخطوطة رقم ١٥١٣

[٥] السبعة السيارة (مخطوطة) الديوان السابع ورق ٣١٠ مكتبة دارالعلوم ندوة العلماء تحت المخطوطة رقم ١٤٥٦

إن أكثر قصائد هذه الدواوين السبعة في الغزل، ولكن آزاد بدأ كل ديوان بقصيدة أو قصائد نعتية لحصول البركة وقد ذكر آزاد هذا في آخر الديوان العاشر حيث يقول :

"إنى نظمت سبعة دواوين في اللسان العربي وسميتها بالسبعة السيارة أكثرها في التغزل، وتوجت رأس كل ديوان بمدح النبي صلى الله عليه وسلم تيمنا [٦] .

ونجد في كل من قصائده شعر "المقطع" وهو أسلوب في الشعر الفارسي والأردي حيث يندرج الشاعر اسمه في آخر القصيدة، ولكن آزاد ذكر اسمه في أكثر قصائده في وسط القصيدة ولعل هذا ابتكار آزاد . وكذلك ذكر في بداية كل قصيدة تاريخ قرضها إلا في الديوانين، فلم يكتب متى بدأ الديوان الأول، ولكن الأستاذ سهروردى يذكر أن آزاد بدأ ترتيب هذه الدواوين في سنة ١١٧٩هـ وأتمه في سنة ١١٩٤هـ [٧] . ويمكن لنا أن نحدد تاريخ تكميل كل من هذه الدواوين نظرا إلى التاريخ المذكور في بداية كل القصيدة، وفيما يلي تفصيله :

الديوان الأول إلى الديوان الثالث	١١٨٨هـ
الديوان الرابع	١١٩٠هـ
الديوان الخامس	١١٩١هـ
الديوان السادس	١١٩٣هـ
الديوان السابع	١١٩٤هـ

أما الديوان الأول فيبتدئ بعدد من القصائد النعتية مرتبة على ترتيب حروف الهجاء، ثم تتلوها القصائد في مدح أساتذة آزاد وبعض إخوانه في الدين، ومنهم أستاذه طفيل محمد الحسيني الأترولوي، ثم تتلوها القصائد التاريخية من مثل القصيدة التي قالها آزاد مؤرخا " للفرع النابت" تاليف ابن عمه السيد محمد يوسف البلكرمى أو التي أرخ فيها وفاة السيد محمد أسلم المكي، ثم تتلوها القصائد العشقية الغزلية مرتبا رويها على ترتيب حروف الهجاء .

---

[٦] دواوين آزاد (مخطوطة) الديوان العاشر ص/ ٢٩٤ مكتبة ندوة العلماء تحت المخطوطة رقم ١٤٣٢

[٧] Notes an Important Arabic and persian MSS. by A. SUHRAWARDY JRASB. vol. 13th, New series, 1917, p. 139

وفيما يلي قصيدة له يمدح بها خاله محمد بن عبد الجليل :

أ بروق نجد في الظلام ثواقب　　أم حو ذرات في الغبار لواعب

أ أنارت الأقمار ناحية الدجى　　أم أشرقت بخدودهن ذوائب

أحبابنا هل رجعة لشموسنا　　أيامنا بفراقهن غياهب

ذو الرتبة العليا محمد الذي　　تاهت بعنصره الشريف مناصب

خالي وأستاذى وأمد مقلتى　　حقت على المملوك منه مواهب

الله يعلم والأنام بأسرهم　　آزاد عبد طائع هو صاحب [٨]

وهذه هي القصيدة النعتية الأولى في هذا الديوان :

لمحت إلى بعينها الكحلاء　　فمرضت طول العمر بالسوداء

ولقد ثملت بلحظة سمحت لها　　من نرجس ريان بالصهباء

وعلمت آراء العليل صحيحة　　لما رأيت من العليل شفائى

أسرت قلوب العاشقين فطوقت　　أجيادها بعيونها الكحلاء

إلى أن قال :

فأتيت بالقلب السليم مناديا　　غوث الوري في شده ورخاء

برهان رب العالمين حبيبه　　في الأمة الأمية العرباء

من معشر الإنسان إلا أنه　　انسان عين المجد والعلياء [٩]

والديوان الثاني يبتدئ بقصيدتين في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تتلوها قصيدة في "الخمرة الإلهية"، وثم تتلوها القصائد الغزلية مرتبا رويها على ترتيب حروف الهجاء .

وأما الديوان الثالث ففي بدايته خمس قصائد نعتية وفق ترتيب حروف الهجاء ثم تتلوها قصيدة في الكعبة الشريفة وقصيدة نونية في مدح السيد عبد الجليل البلكرامي ثم تتلوها قصائد غزلية مرتبا رويها على ترتيب حروف الهجاء، وفي آخر الديوان ذكر آزاد

---

[٨] السبعة السيارة (مخطوطة) الديوان الأول ورق ٢٥-٢٤ مكتبة ندوة العلماء تحت المخطوطة رقم ١٤٤٥

[٩] نفس المصدر : ورق ٢

بعض أشعاره التي استخدم فيها التورية، ويبدو من تاريخ القصائد أن آزاد جمع في هذا الديوان قصائده التى قرضها بين ذي الحجة سنة ١١٨٦هـ و ذي الحجة سنة ١١٨٧هـ .

وفيما يلي قصيدته في "الشمعة" وإنما نظمها في ليلة واحدة، وهي الليلة السادسة والعشرون من ذى الحجة سنة ١١٨٦هـ :

حسناء قائمة في وسط ناديها ليس التبرقع بالفانوس يخفيها
تاج على رأسها قد صيغ من ذهب ومن جان لها عقد يحكيها
ألا مناقبها بالنص ثابتة تبارك الله إن الله يحكيا
ترنوا أماما وخلفا لاقفاء لها فأى غانية تجلى تساويها
تذوب قائمة من أجل غيرتها ألاترى نظر الرائين يوذيها
طير تحوم حواليها متيمة طوبى لها كيف بالأرواح تفديها
يهيم عشاقها في ضوء طلعتها ويرقصون سكارى من تحليها
عشيقة وهي بالعشاق مغرمة هذا الذي في لهيب الوجد يلقيها [١٠]

هذه القصيدة إن دلت على شئ فإنما تدل على ابتكار آزاد للمعاني الجديدة والأفكار المبتكرة حيث أن آزاد يصور فيها حالة الشمعة والحشرات التي تدور حولها وأن كلا منهما تقدم أضحية حياتها في عشق الأخرى .

وأما الديوان الرابع فهو مردف أى شامل لقصائد الرديف وهو قسم من أقسام الشعر الفارسي، وقد حدد الرديف آزاد نفسه فيما كتبه في ترجمة حياته وجعله ديباجة للديوان الرابع فيقول : "والرديف عبارة عن كلمة مستقلة فصاعدا تتكرر بعد الروي، والشعر المشتمل عليه يسمى مردفا من الترديف، وهو يزيد الأشعار جمالا، ويلبس بنات الأفكار خلخالا، وبه يتنوع الشعر الفارسي على أنواع لاتحصى وأقسام لاتتناهى، ولارديف في شعر العرب وإن تكلف أحد بالترديف لاتظهر له جلوة مثل ما تظهر في شعر الفرس، فهو في الفارسية برة العروس، وفي العربية رجل الطاؤوس، ولامنشأ له إلا خصوصية اللسان" [١١].

---

[١٠] نفس المصدر : الديوان الثالث ورق ١٥٨

[١١] نفس المصدر : ديباجة الديوان الرابع ورق ١٦٣

ثم إن الرديف لايوجد في كلام العرب، لأنه غير طبيعي في اللغة العربية، وقد ذكر آزاد اسبابا لعدم وجود الرديف في شعر العرب فيقول : "إن الرديف يجئ بالفارسية عفوا بلا تحشم، بل لايحسن أغزاهم بلا رديف أو وصل بالروى، ويجئ في العربية بالتجشم حيث يحتاج إلى فرض رديف يصح معناه في جميع أبيات القصيدة، بل ربما يعوق الرديف الذهن عن التطرق إلى المعاني العالية بخلاف الفارسية، فإن الرديف فيها يبعث الذهن على المعاني العالية والجواهر الغالية ".

ومع ذلك قرض آزاد قصائد عديدة في الرديف ورتبها في ديوان مستقل،وذلك لأن حفيد آزاد السيد أمير حيدر بن السيد نور الحسين كلفه أن ينظم ديوانا مردفا على طريقة شعراء الفرس فشرع في نظمه في المحرم سنة ١١٩٠هـ وأتمه في أربعة شهور في ربيع الآخر سنة ١١٩٠هـ كما يظهر من تاريخ القصائد المكتوب في مفاتح القصائد، وهذا الديوان مشتمل على نبذة من القصائد الغير المردفة أيضا، بعضها منظومة قبل إرادة الديوان المردف وبعضها منظومة بعد الإرادة . بدأ آزاد هذا الديوان – على عادته – بقصيدتين في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ثم أورد قصائده الغزلية ورتبها على ترتيب حروف الهجاء وعلى تاريخ قرض هذه القصائد معا .

ننقل هنا قصيدة له في الرديف وقد قالها متغزلا :

عين الصواب جناية الحسناء　　قتل المحب عناية الحسناء

ترجيم قبرى بعد دفن الجسم من　　رجم الغوير رعاية الحسناء

تبكى على قتلى النساء ترحما　　تشتم ا لقتيل رثاية الحسناء

تعدو على العشاق غزلان الحمى　　هذا الجفاء بناية الحسناء

جور الظوالم في الأباطح شائع　　سند لهن بداية الحسناء [١٢]

هذه القصائد إن دلت على شئ فإنما تدل على التجشم الذي يؤدى إلى أفكار سخيفة أراد آزاد أن ينظمها حسب هذا الرديف .

---

[١٢] نفس المصدر الديوان الرابع : ورق ١٦٨

وأما الديوان الخامس فهو مجموعة قصائد "المستزاد" وهو نوع من أنواع الشعر الفارسي ، يحدد آزاد هذا النوع من الشعر في ديباجة له على الديوان الخامس فيقول :

"المستزادكلام موزون يستزاد فيه بعد كل مصراع من البيت جزءان من بحر المستزاد عليه بشرط إلا لقيام، أو بعد كل بيت إلا البيت المصرع فإنه يستزاد فيه جزءان بعد الشطر الأول أيضا كما تراعى فيه القافية، والقسم الأول أوفق بالدبيت والقسم الثاني أوفق بالقصيدة، ولايخفى على الناقد أن تمكين القافية في زيادة المستزاد قلما يوجد مثله في غيرها، فالزيادة فيه كأنها برة في ساق الفادة، نعم "للذين أحسنواالحسنى وزيادة"، على أنها تجلب المعاني الرائقة وتجذب الخيالات الفائقة بخلاف الرديف، فإنه يطرد المعاني ويقتل الغواني" .[١٣]

ولاشك في أن المستزاد طريقة صعب لما فيه من رعاية القافيتين وتحمل الداهيتين، ولذلك لانجد أحدا من شعراء العرب ينظم قصيدة في هذا القسم من الشعر الفارسي، ولقد ثبتت لآزاد هذه الميزة بانه نظم ديوانا كاملا في هذا القسم إذ لم يسبق إليه ذهن قبله، وقد رتب هذا الديوان في مدة أقل من ثلاثة شهور بين المحرم وربيع الاول سنة ١١٩١ هـ كما يظهر من تاريخ القصائد :

وفيما يلي قصيدة من هذا الديوان في المستزاد قالها آزاد متغزلا :

لا أطلب من غصون روض الوعاء قطف الثمرات — بل أطلب من سماع صوت الورقاء سفح العبرات

أستعطف ناظرا وأستأذنه — أن أجلس قدر طرفة بالغناء تحت الأثلاث

أشتاق إلى بادية من أصنم — هل أجلس ساعة بتلك البيداء فوق الصخرات

أطوى طول الزمان في زاوية — والعين تفيض في فراق البيضاء حمر القطرات

---

[١٣] نفس المصدر ديباجه الديوان الخامس ورق ٢١٥

أرجو حسن الوفاء من ظالمة ترك العشاق عند ها في الرحاء

كسب الحسنات [١٤]

أما الديوان السادس فهو مجموعة القصائد التي قرضها آزاد بين المحرم سنة ١١٩٢هـ وربيع الآخر سنة ١١٩٣هـ، بدأ آزاد هذا الديوان بالقصيدة النعتية ثم أورد قصائده الغزلية مرتبا رويها على ترتيب حروف الهجاء، ومن هذه القصائد قصيدة سماها مطالع الصقعاء" وذلك لأنه استخدم فيها خمسة مطالع، ولا شك في أن هذا من ابتكار آزاد، وكذلك نظم فيها قصيدة في الترجيع وهو - كما حدده آزاد بنفسه - في اللغة ترديد الصوت في الحلق كترديد أهل الألحان، وفي الاصطلاح هذا النوع من الشعر، (أي هو تسعة أبيات يتكرر بينها فاصل بعينه) ووجه التسمية ظاهر، وهو ترجيع البيت المكرر، وشرطه أن يكون بيت الترجيع مرتبطا بما قبله، والترجيع من مخترعات شعراء الفرس [١٥] .

ونقل هنا بعض الأشعار من قصيدته في الترجيع :

مولاى حزنت في هوا كا من يكشف غمتى سواكا

والله لقد أهنت ضيفا من ينزل بعده حماكا

شكرا لك أن رفعت قدري مالي شركاء في جفاكا

لو لم تك ساكنا بقلبي أنا لجعلته فداكا

إن ذقت الموت لا أبالى حياك الله ذو الجلال [١٦]

وأما الديوان السابع فهو مجموعة قصائد آزاد التي قرضها بين ذي القعدة سنة ١١٩٣ هـ والمحرم سنة ١١٩٤ هـ في ثلاثة شهور، بدا آزاد هذا الديوان أيضا بقصيدة نعتية ثم أورد القصائد الغزلية مرتبا حسب ترتيب حروف الهجاء وحسب تاريخ قرضها، وقد ذكر في ديباجة له على هذا الديوان أن جملة أبياته بعد إتمام الديوان السابع بلغت عشرة آلاف .

---

[١٤] نفس المصدر : الديوان الخامس ورق ٢٢١

[١٥] نفس المصدر : الديوان السادس ورق ٣٠٦ .

[١٦] نفس المصدر : الديوان السادس ورق ٣٠٣ .

وفيما يلي بيتان له في أبي قلمون وهو نوع جديد من الشعر ابتكره الأمير خسرو الدهلوي كما ذكر آزاد في "سبحة المرجان" يستخدم فيه الشاعر تورية في اللسانين أو أكثر، فيقول آزاد .

رميت فؤادي يا حبيبي في الهوى وألقيت نفسي في وثاق خيالك

أروم مكان الوصل منك ووقته فعين رعاك الله شهر وصالك [١٧]

فإن الشهر بالفارسية البلد وبالعربية الزمان من الهلال إلى الهلال، يرجع المعنى الفارسي في هذا الشعر إلى المكان والمعنى العربي إلى الوقت .

٢ – دواوين آزاد (الثامن والتاسع والعاشر) :

هذه مجموعة دواوين آزاد التي رتبها بين سنة ١١٩٨ هـ و١١٩٩هـ. توجد نسخة خطية لهذه المجموعة في خزينة النواب علي حسن خان في مكتبة دار العلوم لندوة العلماء تحت المخطوطة قم ١٤٣٣ ، وكذلك توجد نسخ مستقلة لكل من هذه الدواوين في خزينة سبحان الله في مكتبة جامعة عليجرة الإسلامية تحت المخطوطة رقم٨٩٢،٧١١. أما النسخة في ندوة العلماء فهي تشتمل على ٢٩٤ ورقا، ونستعرض فيما يلي كلا من هذه الدواوين .

فالديوان الثامن مجموعة قصائد آزاد التي قرضها بين صفر وذي الحجة سنة ١١٩٨هـ، ويبتدى الديوان بقصيدتين في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تتلوها القصائد الغزلية مرتبا حسب ترتيب حروف الهجاء وتاريخ قرض القصائد، وننقل فيما يلي بعض الأشعار من القصيدة النعتية الأولى التي سماها آزاد "لامية المشرق" .

لله من منحتنى رتبة الخول وشرفتنى بهذا المنصب الجلل

هي التى كتمت عن محاسنها لا خير في جلوة الطاؤوس بالجبل

البدر يدخل في الساهور أونة وتلك تخفى على العلات في الكلل

رشيقة خطفت بالقد أعيننا خطف الوثائر بالعسالة الذبل

تغيبت غادة سوداء عن نظري كظل خير البرايا أشرف الرسل

---

[١٧] نفس المصدر : الديوان السابع ورق ٣٤٣ .

محمد سيد السادات قاطبة رأس الأجلاء طرا قبلة القبل [١٨]

والديوان التاسع مجموعة قصائد آزاد التي قرضها بين المحرم ورجب المرجب سنة ١١٩٩ هـ ، وقد ذكر آزاد في ديباجة له على هذا الديوان أنه سمى الديوان الثامن والتاسع له باسم "تحفة الثقلين" [١٩]. وبدأ آزاد هذا الديوان بقصدتين في مدح النبي صلى الله عليه وسلم كما هو عادته ثم أورد القصائد الغزلية في ترتيب حروف الهجاء وحسب تاريخ قرضهان وقد ذكر في آخره بعض مقطوعاته الشعرية، ننقل هنا واحدة منها وهي في تورية أبي قلمون :

واحسرتا مما انثنى عن صحبتى شرخ الشباب جئت على غواني

أطوى مسافة طيلتى متحزنا مذ فارقا من لي برد جواني

فإن الجواني بالفارسية معناه الشباب، وبالعربية جمع جانية، يرجع المعنى الأول إلى الشباب، والمعنى الثاني إلى الجواني من الغواني .

وأما الديوان العاشر فلا شك أنه مفخرة عظيمة من أعماله لأنه مجموعة القصائد النعتية فقط، جمع آزاد في هذا الديوان قصائده التي قرضها بين رمضان وذي الحجة سنة ١١٩٩هـ ويبلغ عددها إلى أربعين قصيدة، وكذلك ضمن فيه قصائده النعتية من الديوان الثامن والتاسع حتى يكون مجموعة كاملة لمدائح النبي صلى الله عليه وسلم . ومن ميزة هذا الديوان أن آزاد قرض فيها قصائد قد رويها من الألف إلى الياء ورتبه حسب ترتيب حروف الهجاء وحسب تاريخ قرض هذه القصائد، فكأن آزاد خطط هدفا لقرض القصائد من الألف والياء وبدا يحقق هذا الهدف بقرض قصائد على ترتيب حروف الهجاء .

٣ – أوج الصبا في مدح المصطفى

هذه المجموعة القصائد النبوية التي وردت في دواوينة السبعة وهي السبعة السيارة، أفرد آزاد هذه القصائد النبوية وجمعها في مجموعة مستقلة في سنة ١١٩٧ هـ يكتب آزاد في هذا الخصوص في مقدمة له على هذه المجموعة : ثم إنى حملت راية الدراية في الميادين

---

[١٨] دواوين آزاد (مخطوطة) : الديوان الثامن ورق ٢-٣ مكتبة ندوة العلماء تحت المخطوطة رقم ١٤٣٣ .

[١٩] نفس المصدر : ديباجة الديوان التساع ورق ١٠٠ .

ورتبت من أشعاري سبعة دواوين، وأودعتها دولة الإمارة، وسميتها بالسبعة السيارة، وصدرت في كل واحد منها مدح النبي الكريم ، وجعلته أقوى الوسائل إلى الفوز العظيم، ثم أردت أن افرز منها القصائد النبويات، وأصنع قلادة على حدة من الكواكب الدريات، فقدمت هذه النسخة الفائقة، وآثرت هذه الجملة الرائقة، سنة سبع وتسعين ومأة وألف، وسميتها "أوج الصبافي مدح المصطفى" [٢٠] .

ويجدر بالذكر هنا أن نسخة خطية لهذه المجموعة توجد في مكتبة دار العلوم لندوة العلماء تحت المخطوطة رقم ١٤٢٣ ، وقد رتب آزاد هذه القصائد - على عادته - على ترتيب حروف الهجاء من الروي قدرما كانت الحروف فيهن، وأورد في آخر هذه المجموعة قصيدة بديعة رائعة تشتمل على عدد من محسنات الكلام، يكتب آزاد عن هذه القصيدة : وقد نظمت قصيدة بديعية نبوية مشتملة على محسنات الكلام بعضها منقولة من الهندية إلى العربية، وبعضها من مستخرجاتي، وبعضها مشتركة بين العرب والأهاند، وبعضها سوى الأقسام الثلاثة أوردتها في "سبحة المرجان"ن وبينت فيها تعاريفها ، فمن اشتاق إليها فليطلبها من ثم، وليست هذه المنسخة موضعها" [٢١] .

وننقل فيما يلي بعض أشعار هذه القصيدة مع إشارة إلى محسنات الكلام :

قال في الانتزاع "وهو عبارة عن أن ينتزع المشبه به من المشبه" [٢٢] :

تلون البرق من إشراق بسمتها لو لا تبسمة الحسناء لم تشم [٢٣]

وقال آزاد في تشبيه الاستدلال و"هو أن يدعى المتكلم المماثلة بين الشيئين مستدلا عليها بالجهة الجامعة بينهما" [٢٤] :

والشمع في حبها كالبرق مكتئب ألا ترى يسفحان الدمع من سدم [٢٥]

---

[٢٠] أوج الصبا في مدح المصطفى (مخطوطة) ورق ١ مكتبة ندوة العلماء تحت المخطوطة رقم ١٤٢٣ .

[٢١] نفس المصدر ورق ٣١ .

[٢٢] سبحة المرجان ج ٢ ص ٥٤ .

[٢٣] أوج الصبا (مخطوطة) ورق ٣١ن وشام البرق أي نظر إليه أين يقصد وأين يمطر .

[٢٤] سبحة المرجان ج ٢ ص ٢٢٤ .

[٢٥] أوج الصبا (مخطوطة) ورق ٣٣ والسدم معناه محركة المهم .

٤ – القصيدة الهمزية

هذه قصيدة نعتية رتبها آزاد في المدينة المنورة في سنة ١١٥١ هـ كما يظهر من العبارة التي ذكرها في آخر القصيدة وهي كما يلي : "تمت القصيدة للسيد غلام علي الحسيني الواسطى البلكرامي في وصوله إلى المدينة المنورة" [٢٦]. تشتمل هذه القصيدة على ٦٩ بيتا . توجد نسخة خطية لهذه القصيدة بخط النسخ في مكتبة دار العلوم لندوة العلماء تحت المخطوطة رقم ١٤٩٦ .

يجدر بالذكر هنا أن هذه القصيدة هي التي بدأ بها آزاد ديوانه الأول، فلعل آزاد رتب هذه القصيدة مستقلا ، ثم ضمنها إلى الديوان الأول حينما اراد أن يرتب ديوانا لأبياته .

٥ – ديوانان لآزاد

هذان الديوانان بعثهما آزاد إلى المدينة المنورة، وانشدت أشعارهما أمام قبر النبي صلى الله عليه وسلم وكلاهما يشتملان على ثلاثة آلاف بيت، ولا نجد ذكر هذين الديوانين إلا في سبحة المرجان حيث يكتب عنهما : "وجملة أشعاري في الديوانين ثلاثة آلاف، وأرسلتهما إلى بعض الفضلاء بالمدينة المنورة، فعرضهما على الروضة الخضراء، وأوصلها إلى داخل شباك القبة الغراء، أرجو أن يكونا فائزين بمرتبة القبول العالي، وصاعدين منزلة التحسين المتعالي" [٢٧] .

فلا ندرى هل هذا ن الديوانان من السبعة اليارة أوهما ديوانان مستقلان . ثم إن سبحة المرجان" ألفها آزاد في سنة ١١٧٧ هـ وإن آزاد بدا يرتب دواوينه في سنة ١١٧٩ هـ إذا اعتمدنا قول الأستاذ سهروردي [٢٨]. وهذا يقتضى أنهما ديوانان مستقلان .

٦ – مرآة الجمال

هي قصيدة يصف فيها آزاد حسن كل عضو من أعضاء الحبيبة وجمالها من الرأس إلى القدم وخص بوصف كل واحد منها بشعرين، وصف خمسين عضوا واحدا فواحدا في

---

[٢٦] القصيدة الهمزية (مخطوطة) ورق ص ٤ مكتبة دار العلوم لندوة العلماء تحت المخطوطة رقم ١٤٩٦ .

[٢٧] سبحة المرجان ج ١ ص ٣٠٩ .

[٢٨] راجع مقالته في . JRASB. NEW SERIES. VOL. XIII, 1917, P. 139

١٠٥ شعر، قرض آزاد هذه القصيدة في سنة ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣م كما يظهر بالأشعار التي ختم بها هذه القصية وهي :

أمليت في وصف المهاة قصيدة حسنية تحوى أدق معاني
في سبعة فوق الثماني التي مأة وألف بعدها حسباني [٢٩]
٧ ٨ ١ ١

إن مما لا شك فيه أن التشبيب فن قديم توجد اثاره في شعر الجاهلية ثم في الشعر الأموي والعباسي حتى عهدنا هذا، حيث يصف الشاعر حبيبته ويذكر محاسنها وجمال أعضائها في أشعار متفرقة، ولكن آزاد يمتاز من بين هؤلاء الشعراء بأنه قرض قصيدة واحدة طويلة استعرض فيها جميع أعضاء المعشوقة ، وهو أول شاعر تصدى لهذا النوع من الغزل ، فلا عجب إذا ختم هذه القصيدة بادعاء أن هذا النوع من الغزل لم يوجد من قبل، وآزاد هو الذي أبدعه، فقال :

ما إن سمعنا مثلها من شاعر آزاد للطراز المنشط بان [٣٠]

توجد نسخة قلمية لهذه القصيدة بخط النتستعليق في مكتبة جامعة عليجراه الإسلامية تحت المخطوطة رقم ٨٩٢٦٧١ ، ثم إن نسخة للسبعة السيارة في مكتبة ندوة العلماء تحت المخطوطة رقم ١٤٤٥ تضمن هذه القصيدة .

وننقل فيما يلي بعض الأشعار من هذه القصيدة مع ذكر العضو الذي رصفها آزاد:

مطلق الحسن

بي طبية من أبرق الحنان من مثلها في عالم إلا مكان
شمس تباهى بالسنا أمة لها وكواكب آخرى من الغلمان

الضفيرة

أضفيرتان على بياض خدودها أو في كتاب الحسن سلسلتان
أو ليلتا العيدين أ قبلتا معا أو من قصائدهم معلقتان

الجبهة

---

[٢٩] نقلا عن مقدمة الدكتور فضل الرحمن الندوي على سبحة المرجان ص ١١ .

[٣٠] نقلا عن . Contribution of India to Arabic Literature by Dr. Zubaid Ahmed. p. 216

جبهتها المضيئة في الدجى وهب إلاله له علو مكان

هي نصف بدر كامل لكنها تربي على القمرين في اللمعان

الحاجب

أبصر حواجبها وأدرك كنهها غصنان منحنيان وسط البان

أو كافران يشاوران ليوقعا أمالنا في موقع الحرمان

العين

طرفا الحبيبة ماكران تمارضا وتغافلا عن رؤيه الجيران

أو نرجسان على غصين واحد وهما بماء مسكر نضران

الفم

وفم الحبيبة حقة محمرة فيها لآلي الماء والتبيان

ياقوتة مثقوبة لكنها بالثقب خاليةعن النقصان

الشفة

شفة الفتاة عقيقة يمنية تشفى مويهتها صدى الظمآن

رطبان كل منهما ذوحمرة متفاخران باللون والحلوان

الخد

خد التى برعت طلاوة وجهها ورد طري من رياض جنان

الورد في بستان غانية الحمى والنرجس والريان مجتمعان

القلب

حجر أصم فؤادها وزجاجة قلب الذي هو في المحبة فانى

ففؤادها في الانشراح لأنه ضرر على أوان يلتقيان [٣١]

٧- مظهر البركات :

هذه مجموعة قصائد أزاد في المزدوجة وهي وزن من أوزان الشعر الفارسي ينظم فيه الشعراء الحكايات والواقعات، يكتب آزاد عن هذا القسم من الشعر الفارسي في مقدمة له

[٣١] السبعة السيار (مخطوطة) ورق ٩٤-١٠٥ مكتبة ندوة العلماء تحت المخطوطة رقم ١٤٤٥

على "مظهر البركات" : "إن المزدوجة من أقسام الموزونات حق للسان الفارسي. فإنها فيه طبيعية تأتي عفوا بلا تكلف، وضعها شعراء الفرس بنظم القصص والأخبار وسموها "المثنوي" أما اللسان العربي فهي فيه غير طبيعية لا تأتي إلا بالتجشم كما أن القصيدة في اللسان الهندي غير طبيعية ليس وجودها فيه أصلا، يعرف هذه المراتب من له معرفة تامة بهذه الألسنة، ولهذا ما نظم المزدوجة من شعراء العرب إلا أشخاص معدودة، منهم الشيخ أبو يعلى محمد بن الهبارية العباسي نظم "الصادح والباغم" في الرجز، ومنهم الشيخ بهاء الدين العاملي نظم مزدوجة في الوافر سماها "رياض الأرواح" [٣٢].

قد رتب آزاد سبعة دفاتر لمظهر البركات، لاشك في أنه لم يتفق -كما يدعى آزاد[٣٣]- لأحد من شعراء العرب والمقلدين لهم من شعراء العجم أن ينظموا قصائد مزدوجة على هذه الكيفية، ويمكن لنا أن نحدد تاريخ تكميل كل من هذه الدفاتر السبعة نظرا إلى التاريخ المذكور في بداية كل دفتر، وفيما يلي تفصيله :

الدفتر الأول ١١٩٣هـ

الدفتر الثاني إلى الرابع ١١٩٥هـ

الدفتر الخامس إلى السابع ١١٩٦هـ

توجد نسخة قلمية لهذه المجموعة في خزينة حبيب الرحمن خان اللشيرواني مكتبة جامعة عليجراه الإسلامية تحت المخطوطة رقم ٣٠/٣٠، وكذالك وجدت نسخة له في مكتبة دارالعلوم لندوة العلماء تحت المخطوطة رقم ١٥١٣، وهي تشتمل على ٤٧٢ ورقا وتحمل في بدايتها خاتم النواب صيدق حسن خان . وأكثر هذه المجموعة حكايات وواقعات مختلفة هزلية أو فكرية عن السلاطين والأمراء وعن العلماء والفضلاء، وكذلك توجد حكايات عن العشاق والمحبين وحتى عن غيرذوى الأرواح مثل الشمعة أو الشمس والقمر .

ومن الملائم هنا أن ننقل حكاية آزاد عن قيس والمجنون، وهي كما يلي :

نقلوا أن قيسا المجنون قلبه في يد الهوى موهون

---

[٣٢] مظهر البركات (مخطوطة) ورق ١ مكتبة دارالعلوم ندوة العلماء تحت المخطوطة رقم ١٥١٣

[٣٣] أوج الصبا (مخطوطة) ورق ٤٢ مكتبة دار العلوم لندوة العلماء تحت المخطوطة رقم ١٤٢٣

حب ليلى أذاب مهجته　　هجر ليلى أسال مقلته

عابه واحد من الأقران　　غافل عن حقيقة الهيمان

أن ليلى كريهة شوهاء　　أمة عامرية سوداء

كيف آثرتها على الحسنات　　كيف أحببتها من الخفرات

قال ياصاح أنت معذور　　في ملام القير مجبور

لاتعيب انتخاب باصرتى　　لو ترى وجهها بناظرتى

وضع الله خالق النسب　　نسبة في المحب والحبب

هي ترمى النفوس في الغمم　　هي تلقى القلوب في الأمم [٣٤]

وكذلك نجد قصيدة له في "فضيلة الشعر" وهي :

إنما الشعر أحسن الدرر　　مودع في طبيعة البشر

صد الشعر من رسول الله　　دل هذا على قبول الله

شعر كعب حباه بالفضل　　ووقى نفسه عن القتل

صانه المصطفى عن الطرد　　ناله دولة من البرد

نصب المصطفى لحسان　　منبرا كى يتم برهانا

-　　إلى آخر القصيدة [٣٥]

وخلاصة القول أن جميع هذه الدواوين والمجموعات الشعرية لآزاد إن دلت على على شئ فإنما تدل على القريحة الفطرية لآزاد في قرض الشعر حيث أن عدد أبياته في

---

[٣٤] مظهر البركات (مخطوطة) الدفتر الأول ورق ٢٤ مكتبة ندوة العلماء تحت المخطوطة رقم ١٥١٣

[٣٥] نفس المصدر : الدفتر السادس ورق ٢٠٢

الدواوين العشرة والدفاتر السبعة لمظهر البركات وقصيدة مرآة الجمال وفي سبحة المرجان قد بلغ إلى اثنى عشر ألفا وخمس مأة بيت، فإذا افتخر آزاد أنه ماسمع قط من أهل الهند من يكون له شعر عربي على هذه الكثرة والمثابة فهو أحق أن يفتخر به .

الفصل الثاني :

خصائص شعر آزاد الفنية

إن شعر آزاد يمتاز بخصائص فنية لم تجمع في شاعر هندي، في اللغة العربية، فإن آزاد شاعر مطبوع وموهوب يبتكر المعاني ويبدع الأفكار، ويختار لها ألفاظا ملائمة جزلة، ويقدم أمام القراءة تصويرا واضحا لما يتدفق به قلبه من عواطف ووجدان، ويعبر عن مشاعره وأحاسيسه تعبيرا دقيقا .

ونلخص هنا ما ذكره الدكتور زبيد أحمد من خصائصه الشعرية وامتيازاته الفنية :

١- توجد في شعر آزاد كثرة مدهشة للتخيلات والتصورات مالا توجد في أي شاعر عربي، ويختلف شعره من شعر الجاهلية اختلافا مثل ما يختلف شعر المتنبى منه، وإن الشعر الفارسي في عهد المتنبى لم يبلغ مداه ما بلغ في عهد آزاد، فلم يتأثر المتنبى من الشعر الفارسي مثل ما تأثر به، ولذلك نجد شعره ثريا من التخيلات والتصورات، ولكنه أنقص من شعر المتنبى من حيث براعته الشعرية وفخامته اللغوية .

٢- كان آزاد مولعا باستخدام الإشارات والكنايات والصنعة اللفظية والمحسنات الكلامية، ونجد هذا الولع في شعراء وأدباء الهند عامة، ثم إن آزاد أبدع أساليب جديدة متعددة في هذه الصنعة .

٣- لم يكن الشعر العربي متأثرا بالشعر الهندي والسنسكريتى قبل آزاد، فهو أول شاعر أورد في شعره العربي تشبيهات هندية وسنسكريتية، واستخدم أساليبها، وكذلك قال الشعر في البحور والقوافي السنسكريتية .

٤-قرض آزاد الشعر العربي في جميع أصناف الشعر الفارسي أيضا، واننا نجد نماذج عديدة في شعره العربي للرباعي والمثنوى والمستزاد من الأوزان الفارسية، واختار آزاد بحر المثنوي الفارسي للمزدوجة العربية، وكذلك قال الشعر في المثنوي العربية [٣٦] .

---

[٣٦] DR. ZUBAID AHMED : Cntribution of India to Arabic Literature p. 218-19

ويمكن لنا أن نستنتج مما قاله الدكتور زبيد أن شعر آزاد العربي ليس مجرد تقليد واتباع، وإنما هو مبتكر فيه، وإن الغزل الهندي هو مصدر غزله في الشعر العربي، وذلك هو الأسلوب الخالص الذي ابتكر آزاد في كلامه، والمنهج الجديد الذي اخترعه لشعراء العربية، وإلى ذلك يشير الأمير صديق حسن خان في كتابه "أبجد العلوم" فيقول :

"وله في التغزل طور خاص قلما يوجد في كلام غيره، يعرفه أصحاب الفن" [٣٧].

فأبرز آزاد نواحى جديدة في الغزل العربي واتبع ذوق الهند في تشبيب النساء وبيان حسنهن، وترك على القراء أثرا ممتعا بارجاعهم إلى ذوق سليم، يذكر الدكتور مسعود أنور العلوى أن آزاد وصف النساء بشرح وبسط متأثرا بالشعر الفارسي، وإنه استعمل أسماء ليلى وسلمى وعذراء وزينب وسعاد وغيرها في شعره وهو تقليد لشعراء العرب [٣٨].

إن أحسن مثال لغزل آزاد هو قصيدته "مرآة الجمال" التى قد سبق ذكرها، فإن آزاد وصف فيها كل عضو من أعضاء المعشوقة وكذلك وصف كل ما يتعلق بها من التبسم والكحل والقرط والطوق الحناء واللباس وغير ذلك، ولاشك في أن آزاد أول من أبدع هذا النوع من الغزل . ومن الملائم هنا أن ننقل غزلا سوى مرآة الجمال حتى تتجلى للباحثين براعته في هذا الفن يقول آزاد متغزلا في الديوان الثاني له :

- لاأشتكى والله من جفواتها أنا طالب للذات لا لصفاتها
يااللعناية إن أتت بإساءة ياللكرامة إن أرت حسناتها
رمت الشفاء من السقام بسرحها فمرضت طول العمر من لحظاتها
قلبى زجاج وقلبها حجر وإن لقيا فلا منجاة لآفاتها
يمشى على الفلك المحدد مائلا من يشرب الأقداح من خمراتها [٣٩]

وكذلك ماقاله متغزلا عن سلمى :

تعذبنى سلمى وما أنا جانبا فكيف تكون الحال إن كنت عاصيا
قصدت مرارا أن أودع حبها فأصبح رائى بعد ذلك واهيا

---

[٣٧] أبجد العلوم : ص/ ٩٢٢

[٣٨] مسعود انور العلوى : عربي أدب مين أودهـ كا حصه ص/ ١٦٥

[٣٩] السبعة السيارة (مخطوطة) : الديوان الثاني ورق ٧٢

تقضت قرون وافرات وأهلها ولوعة سلمى في فؤادى كما هيا

عرضت على عين الحبيبة حالتى فأدت جوابا بالإشارة شافيا

لقد بات مصباح توقد في الدجى بنار الهوى قبل الفراشة واريا [٤٠]

كل من هذه القصائد الغزلية إن دلت على شئ فانما تدل على مهارة آزاد في ابتكارمعانى جديدة وعلى كفائته باستخدام ألفاظ رشيقة في أسلوب يمتع السماع ويجذب القلوب، ثم إن أغلبية قصائد آزاد غزلية حيث أنه قرض أكثر من مأتى قصيدة في الغزل .

ثم إن آزاد قد بذل عناية خاصة فى شعره إلى مدائح النبي صلى الله عليه وسلم. فقد قرض قصائد عديدة في مدح سيد العرب والعجم، وأفرد ديوانا كاملا له - وهو الديوان العاشر - للمدائح النبوية، وكذلك كان يبدأ كل ديوان بقصيدة نعتية أو أكثر تيمنا، وجمع كل هذه القصائد النبوية في مجموعة مستقلة باسم "أوج الصبا في مدح المصطفى" كما ذكرنا من قبل .

وكان آزاد يسلك فى مدائحه النبوية طريقا خاصا لانجد أحدا يماثل فيه، يكتب الأستاذ فقير محمد جهلمى أن آزاد أوجد في مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم معاني كثيرة نادرة لم يتفق مثلها لأحد من الشعراء المفلقين، وأبدع في قصائده المدحية مخالص لم يبلغ مداها فرد من الفصحاء المتشدقين [٤١].

ولاشك أن آزاد قد أبرز براعة عظيمة في هذا الفن، ويمكن لنا بعد دراسة بعض قصائده المدحية أن نتعرف على مدى ما بلغه من رفعة وعلو في ابتكار معاني بديعة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وفيما يلي بعض الأشعار من قصيدة نعتية له :

عطر النسيم سوى من الوعاء وأفاد نى بشرى من الحسناء

وأزال عن دنف سقاما معضلا وضع المهيمن عنه كل بلاء

أعجب بمعتل صحيح الرأى في تصحيح ممراض من الأدواء

ينجى مريض الحب من شوك الردى من مثله في زمرة الحكماء

نور الإله المستعان محمد أفنى عن الأقمار في الظلماء

---

[٤٠] نفس المصدر (مخطوطة) : الديوان السادس ورق ٣٠٢

[٤١] فقير محمد الجهلمى ك حدائق الحنفية ص/ ٤٥٦

هو ركن بيت الله جل جلاله وعماد هذى الخيمة الزرقاء [٤٢]

وقال أيضا في قصيدة أخرى :

من أي ناحية مجيئك يا صبا إن جئت من وادى العتيق فمرحبا

أنا يانسيم على نوالك شاكر شرفتنى متفضلا محتبا

طى الطريق على العليل مشقة فجحنت حيث أتيت نحوى متعبا

أحييتنى كرما بنفحة وردة بسمت فأخجلت الوميض الأشنبا [٤٣]

ويجدر بالذكر هنا أن آزاد لكثرة قصائده المدحية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم لقب "بحسان الهند" نسبة إلى حسان بن ثابت رضى الله عنه شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم كما لقب الخاقانى الشاعر المعروف للغة الفارسية بحسان العجم .

وكذلك نجد آزاد يجيد الرثاء أيضا حيث يقدم أمام القراء تصويرا واضحا لما يتدفق به قلبه من عواطف الحزن والألم، ويعبر عن مشاعره وأحاسيسه تعبيرا دقيقا، يتجلى هذا في قصيدة له يرثى بها أستاذه السيد طفيل محمد الحسينى الأترولوى فيقول :

يا للأحبة ساروا في التباشير فاسود يومى كاحداق اليعاقير

نحن الجسوم هم الأرواح فارتحلوا وخلفونا كأمثال التصاوير

لقد أجبنا بأنواع الدموع متى - غني الحداة بأقسام المزامير

كم من قلوب رقاق إثر عيسهم ياحاوى العيس رفقا بالقوارير

عجبت منهم قضوا بالبين واعتذروا أيسكن القلب عن تلك المعاذير

إلى آخر القصيدة [٤٤]

ثم إننا نجد الاتجاه الوطنى يغلب على شعر آزاد حيث أنه كان - كما يكتب الأستاذ أبو محفوظ الكريم المعصومى - [٤٥] : " يحب وطنه ويتفانى في الإشادة بذكره، وذلك هو الدافع الذي بعثه على أن يقول : إن أول أرض أشرقت بنور محمد صلى الله

---

[٤٢] السبعة السيارة (مخطوطة) : الديوان الثالث ورق ١٠٨

[٤٣] مختار ديوان آزاد المعروفة بالسبعة السيارة ص/ ٧ مطبعة آسى الكائنة، لكناؤ ١٣٢٨هـ

[٤٤] السبعة السيارة (مخطوطة) الديوان الأول ورق ٢٥

[٤٥] في مقالة له في مجلة ثقافة الهند ج ١٧، عن١، ص / ١٠٢

عليه وسلم بعد جزيرة العرب إنما هى أرض الهند، وهو بعد ما يبذل قوته الأدبية والكلامية في مدح بلاد الهند وتفوقها وفضلها على سائر البلاد والأصقاع في كتابه " سبحة المرجان" يقول :

قد أودع الخلاق آدم نوره متلالأ كالكوكب الوقاد
والهند مهبط جدنا ومقامه قول صحيح جيد الاسناد
فسواد أرض الهند ضاء بداية من نور أحمد خيرة الأمجاد [٤٦]

ويمدح وطنه في محل آخر فيقول :

إن تبتغوا ماء الحياة فذلكم في الهند لا في موضع الظلمات [٤٧]

ولكن لعل أكبر ميزة لآزاد أن أسلوبه في شعره يلائم أسلوب الشعراء الذين تأثروا بالثقافة واللغة الفارسية واستقوا من منابع الأدب الفارسي، لأنه أدخل في الشعر العربي ألفاظا ومصطلحات فارسية في كثير من الأحيان، وكذلك استخدم المحسنات الكلامية التي كانت شائعة في الشعر الفارسي ولم تكن معروفة في الأدب العربي، كما أنه أتخذ البحور والقوافي الفارسية وامتزج بينها وبين القوافي العربية .

فقد حاول آزاد أن ينظم القصائد في المتزاد والترجيع وهي قوالب تشبه المحسنات والمسدسات والمسمطات التي اشتهرت في عصور اضمحلال الشعر العربي في البيئة العربية، وكذلك نظم آزاد بالعربية في قالب الغزل وهو قالب معروف في الشعرين الفارسي والأردى ينظم الشاعر فيه أبياتا لاتزيد عن اثنى عشر ، ومن سماته أن كل بيت فيه وحدة قائمة برأسها وأنه ينتهى بالتخلص وهو الاسم الذي يختاره الشاعر لنفسه، وكأنه يمهر به قصيدته في النهاية، يكتب آزاد عن هذا التخلص في ديباجة له على ديوانه الرابع : "اعلم أن شعراء الفرس والهند دأبهم أن يختاروا لأنفسهم أسماء يذكروها فى أواخر منظوماتهم ليعلم بها من نظمها، ويسمى شعراء الفرس هذا الإسم "التخلص"، والسر في ذلك أن الاسم الأصلى للشاعر ربما لاتسعه الأوزان، فيختارون اسما مختصرا يسعه الوزن،

---

[٤٦] سبحة المرجان : ج ١ ص/ ٥٧

[٤٧] نفس المصدر : ج ٢ ص/ ٥٨

والناظم (أى آزاد) حاز قصب السبق في اللسانين، وتخلص في الفارسية بآزاد، واختاره في العربية أيضا لاختصاره" [٤٨].

ولكن آزاد لم يحافظ على مواصفات الغزل كماهي في الأردية والفارسية بل خرج عن الحد العددى -وهو اثنا عشر بيتا- في كل ما نظم من هذا النوع، وقرر نصابا جديدا للغزل كما يكتب في سبحة المرجان : "وقد قررت نصاب القصيدة في التغزل إحدى وعشرين بيتا إلى إحدى وثلاثين، وهى الدرجة الوسطى التيى تريح الأسماع ولاتمل الطباع[٤٩] .

وكذلك أدخل آزاد في شعره الرديف وهو من خصائص الشعرين الفارسي والأردى وهو أن يلتزم الشاعر كلمة واحدة يكررها في المطلع وفي نهاية كل بيت بعد القافية كما ذكرنا من قبل، وقد أوردنا نموذجين من رديف آزاد حينما استعرضنا ديوانه المردف، وننقل هنا قصيد أخرى له في الرديف :

أسرنا بالنقا أين الغياث　　قتلنا ههنا أين الغياث

سيهلكنى الهوى أين الغياث　　ويحرقنى الجوى أين الغياث

إلى آخر القصيدة [٥٠]

ولا يخفى على من يطالع هذه القصيدة أن هم آزاد فيها توفيق الكلمات ولو كانت بلا معنى، لأن الرديف من أواع الشعر الفارسي وهو غير طبيعى في الشعر العربي، فيعوق الذهن عن التطرق إلى المعاني العالية .

وقد نقل آزاد الصنائع والبدائع الهندية إلى العربية وجمعها في كتابه الشهير "سبحةالمرجان"، وتبلغ هذه الصنائع الأدبية إلى ثلاث وعشرين صنعة، كما أنه قابل بحور الشعر الهندي وقوافيه ببحور الشعر العربي وقوافيه .

ومن أمثلة إدخال آزاد بعض ما يتعلق ببيئة الهند في الشعر العربي قوله :

تعالوا واسمعوا ملح الأغانى　　عن الورقاء ثم الكوئلاء

---

[٤٨] السبعة السيارة (مخطوطة) : ديباجة الديوان الرابع ورق ١٦٤

[٤٩] سبحة المرجان ج ١ ص/ ٣٠٩

[٥٠] السبعة السيارة (مخطوطة) : الديوان الرابع ورق ١٧٥

فطائر الكوئلاء طائر مغرد في شبه القارة الهندية يعرفه أهلها، ويطربون لصوته، ولن يطرب له العرب أو يدركوا ما في شعر آزاد من صورة ومعنى يتعلق بهذا الطائر، ولو نظم آزاد فيه وفي حسنه ألف بيت، ذلك أنه طائر غريب الاسم والصفات عن بيئة العرب.

وكذلك ما قاله عن الغراب وهو أشأم شئ عند شعراء العرب وهو يرادف الهجر والبكاء عندهم، ولكن الهنود يسمونه بغراب الوصل ويتفاءلون به، قال آزاد :

سمعت غراب الهند يضحى مبشرا بعود حبيب يا له من مبشر

ألا ياغراب النجد أنت شقيقة فما لك توازى هائما بالتطير

فأهل الهند يتفاءلون بالغراب والعرب تتشاءم به، ولن يترك العرب ذلك .يمدح آزاد للغراب لأنه مرتبط بتاريخ اجتماعي عريق لايمكن تغيره، وسيبقى الغراب فألا لوصل الأحبة في الهند كما سيبقى رمز نحس وفراق عند العرب لايغير ذلك قول الشعراء .

ومن أمثلة التورية بين اللغتين العربية والهندية ما قاله آزاد :

أغلظ القوم من بنى بكر جاهد فى آذاى بالمكر

أنا فى حومة الوغى أسد لست أخشى خديعة البكرى

وخلاصة القول إن آزاد يتميز من بين شعراء عصره بأنه مزج بين الآداب الأربعة وهي العربية والفارسية والهندية والسنسكريتية لأنه كان ماهرا في كل من هذه الآداب فنظم القاصئد العربية في قوالب اللغات الفارسية . واستخدم فيها الأساليب الهندية والسنسكريتية، وأورد فيها لمحسنات البديعة والبدائع الكلامية من كل هذه اللفتات .

الفصل الثالث : مكانة آزاد فى تاريخ الشعر العربى فى الهند

لايزال تاريخ الهند العلمى يشيد بذكر آزاد و يعتبره شاعر العربية الكبير ، لأنه لم تنجب بلاد الهند شاعرا- فى أى عهد من عهودالفن و الثقافة- له يد فى الشعر العربى، ويتصف بغزارة مادته الشعرية و كثرة كلامه مثل ماكان آزاد، فقد فاق آزاد جميع الشعراء الذين ظهروا فى الهند و قرضوا الشعر باللغة العربية فى جودة شعره و كثرة دواوينه والطابع الهندى فيه بتاثير اللغات الهندية و الفارسية و الطبعة الهندية-

يكتب الدكتور فضل الرحمٰن الندوى عن شعرآزاد أنه مصبغ بالطبعة الهندية كما يظهر من اسلوبه و معانيه، ثم ان الشعر العربى فى عهد آزاد كان يتصف بالزخارف و الصنائع اللفظية و التحسينات الكلامية، فكان من الطبعى أن يتاثر آزاد بهذا الا تجاه الشعرى و لكنه فاق جميع معاصريه فى هذا النوع من الشعر ،و على كل يعد آزاد بحق أبرز و أعظم الشعراء الذين أنجبتهم بلاد الهند ، وفيما يلى نص ماقال الدكتور الندوى:-[٤٨]

His poetry has a native colon which is revealed in his themes as well as his language. In Azad's time poetic compostion in Arabic had generally came to be identified with ornate peotry. Azad, too, was inflanenced by this tendency and he may be said to have excelled his contemporaries in ornate style. All in all, he any be regarded as the most important Arabic poet prodcued in India.

ومع ذلك قدأخذ على آزاد بعض العلماء بأن كلامه العربى لايليق بشاعر عظيم مثله لأن العجمية تغلب على شعره حتى يكون من المستحيل أن يفهمه العرب،

وفى مقدمة هولاء العلماء الأستاذ المعصومى حيث يكتب فى مقالة له [٤٩]: ان أبرز شيء يعد ميزة شعر العلامة آزاد من وجهة نظر الشعر الهندى قد يكون ذلك أكبر عيب فى كلامه من وجهة نظر الشعر العربى- دخلت فى شعر آزاد تعبيرات هندية حتى أصبح كلامه لا يخلو منها فى أى حال من الأحوال ، و لذالك لانجد فى كلامه أساليب عربية ، وليس هذا العيب باديا فى الشعر الذى يمكن أن يكون الشاعر ارتجله و لم يتمكن من تهذيبه و اصلاحه ، بل ولاتخلو منه تلك القصائد التى لا بد

[٤٨] راجع مقدمة فضل الرحمٰن الندوى على سبحة المرجان ص ٩-٨

[٤٩] راجع هذه المقالة فى مجلة ثقافه الهند ج ١٧ ع ١ ص ١٠٧

أن الشاعر قد أعمل فيها رويته و تفكيره ، مثلا قصيدته المشهورة "لامية الهند" تتضمن شعرا ، ولكنك لاتجد بيتا واحدا منها يمثل ذوق الشعر العربى الخالص ، و بازائه قصيدة القاضى عبد المقتدر اللامية ـ رغم عجميته ـ أحسن منها بكثير فى انسجام الكلمات مع المعانى، والبداهة، و تنم عن الذوق العربى الصحيح ـ

و يعبر العلامة شبلى النعمانى عن مثل هذه الافكار حينما يستعرض شعرآزاد فيقول : "ولو أن آزاد يمتاز بكثرة شعره العربى و الفارسى، ولكن الحقيقة أن كلامه لايخلو من غلبة العجمية بالرغم مما يشغل منصبا عاليا فى العلم و الأدب ، و رغم كونه من كبار أدباء العربية و اطلاعه على الكتب و المواد الأدبية النادرة ، ونظره الواسع فى اللغات و المحاورات العربية لايتغلب على عجميته ، و قد يتعذر أن يسمى كلامه عربيا، وهو يفتخر بأنه أدى دورا كبيرا فى نقل الأفكار العجمية الى العربية، و لكن العارف بهذه الناحية يعلم ان ذلك عيب ـ م[٥٠]

نعم ، لقد حاول آزاد أن يهند العربية لا أن يعرب عربيته ، ولم يستفد ممأأتيح له من فطرة شاعرة لاشك فيها ، و ثقافة شعرية أيضا لاريب فيها ، فى الاتيان بشعر يفهم عمقه عن هذى الخلفية التى ربما لم تتوفر لشاعر عربى أصيل ـ

- يكتب الدكتور معيد خان أن الشعر العربى لآزاد ثرى بغنى مبتكرات التصور و ملكة الخيال على منوال الأدب الفارسى و الهندى، وهى التى يجدها شعراء العرب عجمية ، و فيما يلى نص ماكتب :م[٥١]

In shrot, Azad's Arabic's poetry is not only inflaneced by the Persian and Indian forms and characteristics, but is also rich in fancy and imagination of the persian and Indian type which is guite foreign to Arabic poets.

م[٥٠] مقالات شبلى ج ٥ ص ١٢٨ ، وفيما يلى العبارة الأصلية له:

آزاد کا عربی اور فارسی کام اگرچہ کثرت سے ہے، لیکن حقیقت یہ ہے کہ ان کے چہرہ کمال کا داغ ہے۔ اس سے انکار نہیں ہو سکتا کہ وہ عربی زبان کے بہت بڑے ادیب ہیں، نہایت نادر کتب ادبیہ پر ان کی نظر ہے، لغات اور محاورات ان کی زبان پر ہیں، لیکن کلام میں اس قدر عجمت ہے کہ اس کو عربی کہنا مشکل ہے، ان کو اس پر ناز ہے کہ انہوں نے عجم کے خیالات عربی زبان میں منتقل کئے ہیں، لیکن نکتہ سنج جانتے ہیں کہ یہ ہنر نہیں بلکہ عیب ہے۔

م[٥١] M.A.Muid Khan : The Arabian Poets of Golconda, p.13

ومع ذالك يحتل شعر آزاد مكانة مرموقة خاصة لاينكر ها أحد فى تاريخ الشعر العربى فى شبه القارة الهندية ، لأنه أنشأ أسلوبا جديد للشعر العربى بحيث أنه مهد طريقا بديعا للشعراء الآخرين ، و لذلك نجد الفقير محمد جهلى يكتب فى هذا الخصوص أن آزاد أوجد فى مدحه للنبى صلى الله وعليه وسلم معانى كثيرة نادرة لم يتفق مثلها لأحد من الشعراء المفلقين ، و أبدع فى قصائده مخالص لم يبلغ مداها فرد من الفصحاء المتشدقين م[٥٢] و كذلك يكتب النواب صديق حسن خان أنه لا يعرف لأحد من علماء الهند من يكون له الشعر العربى بهذه الكثرة و المثابة ـ م[٥٣] و كذلك أبدى السيد عبد الحى الحسنى مثل هذه الأفكار فى كتابه الشهير "نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر " ، ثم ان آزاد قدترك عشرة دو اوين و عددا كبيرا من مجموعات قصائده فى مختلف أنواع الشعر و لاسيما المدح و الغزل ، ولا نجد أحدا من الشعراء الهنود من ترك اكثر من ديوان واحد فى الشعر العربى الانادرا

م[٥٢] فقير محمد جهلمى : حدائق الحنفية ص ٤٥٦

م[٥٣] أبجد العلوم ص ٩٢١

فكل هذه الحقائق ان دلت على شيء فانما تدل على عظمة آزاد و مكانته الرفيعة فى تاريخ الشعر العربى فى شبه القارة الهندية ، ولأجل هذا السبب اضطر الدكتور زبير أحمد الفاروقى أن يكتب عن هذا الشاعر العبقرى ماكتبه حيث قال : "ولا يمكن لأحد ان يبحث فى لآثار الأدبية العربية للعلماء الهنود مع الاستغناء عن ذكر العلامة غلام على آزاد البلكرامى ، فهو اكبر شعراء اللغة العربية الذين أنجبتهم الهند، و ان شعره ممتاز بغنى الفكر و التعبير، فأدخل فيه تشبيهات نادرة استعارها من الأدب الهندى و السنسكرتى ، كما قرض الشعر بالبحور الفارسية مما لايوجد له نظير لدى أحد من غيره من الشعراء العرب ـ م[٥٤] و كذلك يكتب الدكتور محمد أسلم الاصلاحى أن آزاد لم يهتم فى شعر ه بالضائع ـ بالبدائع اللفظية فحسب ، و انما أورد فيه الاساليب و الافكار الهندية منحرفا عن التقليد المحض، و يمكن لنا أن نصرح بأن آزاد قد أضاف بابا جديدا فى الأدب العربى م[٥٥]

و هناك يتمثل أمامنا سوال مهم ، هو أنه لم لم ينل شعر آزاد تلك الشهرة و القبولية التى يستحقما فى الواقع ؟ و لم لم يعترف العرب بعظمة آزاد فى الشعر العربى مع أنه كان من الشعراء البارزين المفلقين فى الهند ؟

لعل هذا يرجع الى أسباب عديدة : منها انقطاع الصلة بين أدباء العربية فى شبه القارة و بين اخوانهم العرب الخلص ماأدى الى فقدان الأنما ط العربية الجديدة التى يستفيد منها هؤلاء الأدباء فى مراحل المحاكاة و التقليد التى يمر بها الكتاب و الشعراء الى أن سنح فى نفوسهم ملكة التعبير بحرية بعد الاطلاع على الصور الحديثة و تعبيرات العصر الحاضر، و اساليبه و قوالب الفنون الادبية المختلفة، و مع الأسف أن هذا الانقطاع مازال يحول بين الطرفين رغم تقدم وسائل الاتصال و الطباعة ـ

و من هذه الأسباب أن محاولات التجديد و الابتكار فى الشعر العربى التى قام بها آزاد انما انصبت على القالب و الشكل دون المعنى مما عاق رواج هذه القوالب فى الشعر العربى ، الأن المعنى ان لم يجذب العرب فلا وزن للقالب و انما أخفق آزاد لأنه فوق هذا كله حاول أن يهند العربية لا أن يعرب عربيته ـ كما ذكر نا من قبل ـ ولذلك بقى شعراء آزاد و أدبه مجهولا لدى العرب لم يستحوذ على أذواقهم ، ولم يثر انتباههم ، فظل حبيس قوالبه دون أن يوثر فى أدب اللغة العربية بشىء ، وكان مقدور آزاد أن يصل به الى رتبة لا يعلوها أى أدب عربى آخر خارج ديار العرب ـ فى هذا لصدد يكتب الدكتور شوقى ضيف :" و مهما يكن فان تاثير الثقافتين الفارسية و الهندية فى الشعر العربى غير واضح المعالم ، وحقا انهما لعبتا دورا واسعا فى الشعر الشيعى و الصوفى ، ولكن ليس هذا من التاثير العام فى الشعر العربى ، انما هو جانب خاص يعنى به من يبحثون فى الشعر الشيعى و الصوفى و

[54] زبير حمد الفاروقى : مساهمة دار العلوم بديوبند فى الأدب العربى ص ١٣ـ١١

[55] راجع مقالة الدكتور اسلم الاصلاحى فى مجموعة المقالات باسم "ہندوستان میں عربی ادب اور علوم اسلام کی تدریس و تحقیق" رتبها الأساذ عماء الحسن الفاروقى ، ص ١٤١ ، و فيما يلى العبارة الأصلية له : آزاد نے اپنی تخلیقات میں صرف لفظی منافع و بدائع کا اہتمام نہیں کیا ہے، بلکہ عام تقلیدی روش سے ہٹ کر بھاشا کے اسلوب و انداز اور فکر و خیالات کو بھی اپنے کلام میں بھرپور جگہ دی ہے، اس پہلو کو پیش نظر رکھ کر یہ بات کہی جاسکتی ہے کہ انہوں نے عربی ادب کی تاریخ میں ایک نئے باب کا اضافہ کیا ہے۔

أصولهما، أما الذين يبحثون في الشعر العربى العام فيسجدون تاثير هاتين الثقافتين محدود اعلى عكس الثقافة اليونا نية التى يظهر تأثيرها يوضح ـ" [٥٦]

هذا ـ و أما الدكتور زبيد احمد فيرجع عدم قبولية شعر آزاد عند العرب الى سببين رئيسيين اولهما ماذكرنا من أنه لم تكن توجد في ذلك العصر تلك التسهيلات التى نتمتع بها الآن للسفر من الهند الى مصر و العرب و لتبادل المنتجات العلمية و الاربيه فيما بينهما كما كانت توجد هذه التسهيلات بين الهند و فارس فى عهد الأ مير خسرو ، و السبب الثانى هو ان الناس فى كثير من الأحيان يتعصبون على شاعر من غير بلادهم و لا يعترفون بفضله مهما تكن براعته فى فنه ، فمثلا أهل الفرس لا يسلمون بقيمة و اهمية الشعر الفارسى الذى أنتجها غير اهل الفرس ، لذلك لا يتمتع الاميرخسرو و أبوالفضل فيضى فى فارس با لقدر و المنزلة التى يتمتعان بها فى الهند أوالتركى ـ و فيما يلى نص ماقال الدكتور زبير : [٥٧]

That the poetry of Azad has not revieced general recognition outside India, is due to the condition of the times in which he lived. Communications and interchange of literacy products betweeen India and Egypt or Arabic were not so easy to those between persia and India in the days of Khusro moreoner, every country has its own prejudice against the poetry produced by forigners in tis own language. Persians, for instance, will not recognise the worth and merit of Persian poetry produced by foriegners, and Amir Khusraw and Faydi do not ejoy the same amount of appreciation and admiration in Persian as they do in India or Turkey.

ومع ذلك فقد اعترف علماء المدينة المنورة بفضل آزاد و براعته لاسيما فى قرض المدائح النبوية حينما "أرسلها الى بعض الفضلاء الى المدينة المنورة ، فعرضها على الروضة الخضراء ، و اوصلها الى داخل شباك القبة الغراء [٥٨] و كذلك كان الشيخ عبد الوهاب الطنطاوى المصرى يستحسن شعر آزاد و يمتدحه ، وهو الذى قال حيمنا سمع أن لقبه الشعرى " آزاد" و فهم معناه بأنه عتيق : "سيذى أنت من عتقاء الله " ـ [٥٩]

[٥٦] الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ١٠٢ لبنان ١٩٥٦م

[٥٧] DR. ZUBAIR AHMAD . Contributon of India to Arabic Literature, p.213-14

[٥٨] سبحة المرجان ج ١ ص ٣٠٩

[٥٩] ابجد العلوم ص ٩٢٠

و خلاصة البحث أن آزاد كان شاعرا عظيما من الشعراء الهنود فى اللغة العربية ، عظيما فى معناه كما كان عظيما فى لفظه ، مبدعا فى أسلوبه كما كان مبتكرا فى بحوره ، وكان له ذوق سليم فى ابتكار معانى بديعة ، و اختيار أالفاظ رشيقة ملائمة لتلك لأفكار وانه قدادخل فى الشعر العربى قوالب الشعر و بحوره و المحسنات و البدائع الكلامية من الادب الفارسى و الهندى و السنسكريتى ، ولا نجد احدا يماثله فى جودة الشعر و كثرته من الشعراء الهنود الذين جاء وا قبله و الذين أتوا بعده ، فانه أحق أن يعد أعظم الشعراء باللغة العربية فى الهند كما هو أحق أن يلعّب بحسان الهند۔

☆☆☆

المصادر و الراجع

المخطوطات العربية لآزاد

١ ـ أوج الصبا فى مدح المصطفى

مكتبة دار العلوم لندوة العلماء تحت المخطوطة رقم ١٤٢٣

٢ ـ دواوين آزاد (الثامن و التاسع والعاشر)

مكتبة دار العلوم لندوة العلماء تحت المخطوطة رقم١٤٣٢

٣ ـ سبحة المرجان فى آثار هندوستان

مكتبة دار العلوم لندوة العلماء تحت المخطوطة رقم١٧٥٩

٤ ـ السبعة السيارة

مكتبة دار العلوم لندوة العلماء تحت المخطوطة رقم١٤٤٤

٥ ـ شفاء العليل

مكتبة دار العلوم لندوة العلماء تحت المخطوطة رقم١٤٤٥

٦ ـ شمامة العنبر فيما ورد فى الهند من سيد البشر

مكتبة جامعه عليجراه الاسلاميه تحت المخطوطة رقم ٤٨٠ (الأدب)

٧ ـ القصيدة الهمزية

مكتبة دار العلوم لندوة العلماء تحت المخطوطة رقم١٤٩٦

٨ ـ مرأة الجمال

مكتبة جامعة عليجراه الاسلاميه تحت المخطوطة رقم ٧١ء٨٩٢

٩ ـ مظهر البركات (سبعة دفاتر)

مكتبة دار العلوم لندوة العلماء تحت المخطوطة رقم١٥١٣

المو لفات العربية

١٠ ـ آزاد، غلام على البكرامى ـ سبحة المرجان فى آثار هندوستان تحقيق: الدكتور فضل الرحمن
معهد الدراسات الا سلاميه ، جامعه عليجرة ١٩٧٦م

١١ ـ آزاد، غلام على البكرامى ـ مختار ديوان آزاد المعروف بالسبعة السيارة
مطبعة آسى الكاتنة ،لكهنئو ١٣٢٨ه

١٢ ـ ابوالحسن الندوى ـ المسلمون فى الهند
المجمع الاسلامى العمى ، لكهنئو ١٩٨٧م

١٣ ـ أيوب ، تاج الدين الدكتور ـ الصحافة العربية فى الهند : نشاتها و تطورها
دار الهجرة ، جامو و كشمير ١٩٩٧م

١٤ ـ اسماعيل باشاه البغدادى ـ ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون (مجلدان)
وكالة المعارف الجليلة ، استانبول ١٩٥١م

١٦ ـ اسماعيل، محمد الندوى الدكتور ـ تاريخ الصلات بين الهند و البلاد العربية
دار الفتح للطباعه النشر ، بيروت ؟١

١٧ ـ زبير ، احمد الفاروقى الدكتور ـ مساهمة دار العلوم بديوبند فى الأدب العربى
دار الفاروقى ، دلهى ١٩٩٠م

١٨ ـ الزركلى ، خير الدين ـ الأعلام (المجلد الخاس)
دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٠م

١٩ ـ صديقى حسن خان النواب ـ أبجد العلوم
المطبعة الصديقية، بوفال ١٢٩٠ه

٢٠ ـ عبد الحى الحسنى ـ الثقافة الاسلامية فى الهند
المجمع العلمى العربى ، دمشق ١٩٥٨م

٢١ ـ عبد الحى الحسنى ـ نزهة الخواطر
دائرة المعارف الاسلامية ، حيدر آباد ١٩٥٧م

٢٢ ـ كحالة ،عمر رضا ـ معجم المولفين (اربعة عشر جزء
مكتبة الترقى دمشق ١٩٥٩م

٢٣ ـ يحى ، محمد الكاندهلوى ، لامع الدرارى على جامع البخارى (المجلدالاول)
المكتبة اليحوية ، سهارنفور ١٣٧٩ه

المولفات الفارسية

٢٤ ـ آزاد، غلام علی البکرامی خزانهٔ عامره

مطبع منش نول کشور ، کانبور ؟؟

٢٥ ـ آزاد، غلام علی البکرامی ـ روصنة الأولیاء

مطبع اعجاز صفدری ، ؟؟ ١٣١٠ء

٢٦ ـ آزاد، غلام علی البکرامی ـ سرو آزاد

مطبع دفانی رفاه عام ، لاهور ١٩١٣ء

٢٧ ـ آزاد، غلام علی البکرامی ـ مآثر الکرام

مطبع مفید عام ،آگره ١٩١٠ ء

٢٨ ـ تمنا، اسد علی خان اورنگ آباد ـ گل عجائب : تذکره شاعران

انجمن ترقی اردو ، اورنگ آباد ١٩٣٦ء

٢٩ ـ خلیل ، علی ابراهیم خاں ـ صحف ابراهیم : تذکره شعرائے فارسی تصحیح و ترتیب : عابد رضا

خدا بخش لائبریری ، پٹنه ١٩٧٨ ء

٣٠ ـ خوشگو ، بندر ابن داس ـ سفینه خوشگو : تذکرة شعراء فارسی

لیبل لیتهو بریس ، پٹنه ١٩٥٩ء

٣١ ـ زهرائی ، خانلری دکتر ـ فرهنگ ادبیات فارسی

انتشارات بنیاد فرهنگ ، ایران ١٣٢٨ء

٣٢ ـ صدیقی حسن خاں ـ اتحاد النبلاء

مطبع نظامی ، کانپور ؟؟

٣٣ ـ علی شیر قانع ـ تحفة الکرام (جلد دوم)

مطبوعه ؟؟؟

٣٤ ـ مصحفی ، شیخ غلام ـ عقد ثریا : تذکره فارسی گویان

مجله خراسان ، کابل افغانستان ١٣٦٢ه

٣٥ ـ معانی، احمد گلچین ـ تاریخ تذکره هائے فارسی (جلد اول و دوم)

کتب خانه سنالی، ایران ١٣٦٣ه

المولفات الاردیه

٣٦ ـ آزاد ، غلام علی بلگرامی۔ مآثر الکرام ترجمه از فارسی : شاه محمد خالد فاخری

دائرة المصنفین ، کراچی ١٩٨٣ء

٣٧ ـ احمد رضا بجنوری ـ انورا الباری شرح بخاری (حصه دوم)

نیشنل برنٹنگ بریس ، دیو بند ؟؟؟

٣٨ ـ اسحاق ، محمد ڈاکٹر۔ علم حدیث میں بر اعظم هند و پاك کا حصه

ترجمه از انگریزی : شاهد حسین رزاقی مرکزی مکتبه اسلامی ، دهلی ١٩٨٣ء

٣٩ ـ اسحاق ، محمد بهٹی۔ فقهائے هند (جلد پنجم حصه اول)

اداره ثقافت اسلامیه ، لاهور ١٩٧٩ء

٤٠ ـ اکرام، شیخ محمد۔ رود کوثر

تاج کمپنی دهلی ١٩٨٧ء

٤١ ـ افتخار ، سید عبد الوهاب ـ تذکره بے نظیر ترجمه از فارسی : سید شاه عطاء الرحمٰن عطا

عظیم الشان بکڈبو ، پٹنه ١٩٦٨ء

٤٢ ـ دانش گاه پنجاب ـ اردو دائره معارف اسلا میه (جلد اول)۔

دانش گاه پنجاب لاهور ١٩٨٠ء

٤٣ ـ رحمان علی ـ تذکرة علمائے هند ترجمه از فارسی : محمد ایوب قادری

پاکستان هسٹاریکل سوسائٹی ، کراچی ١٩٦١ء

٤٤ ـ رخسانه نکهت لاری ڈاکٹر ـ سید مرتضی زبیری بلگرامی : حیات اور علمی کارنامے۔

آل انڈیا میرا کیڈمی ، لکهنئو ١٩٩٠

٤٥ ـ سری رام ، لاله ـ خمخانه جاوید (جلد اول)

مطبع نامی نول کشور ، لاهور ١٩٠٨ء

٤٦ ـ سید سلیمان ندوی۔ مقالات شبلی (جلد دوم)

مطبع معارف ، اعظم گڑھ ۱۹٦۸ء

٤۷ ـ شبلی نعمانی مقالات شبلی (جلد پنجم)

مطبع معارف ، اعظم گڑھ ۱۹۳٦ء

٤۸ ـ عبد الجبار ملکا پوری ـ محبوب الرحمان تذکرۂ شوائے دکن (جلد اول)

مطبوعہ ؟؟

٤۹ ـ عبد العلیم فاروقی ـ ہندوستان میں عربی ادب اور علوم اسلامیہ کی تدریس و تحقیق

مطبوعہ علی گڑھ ؟؟

۵۰ ـ عبد المجید سالك ـ مسلم ثقافت ہندوستان میں

ادارہ ثقافت اسلامیہ لاہور ۱۹۵۷ء

۵۱ ـ عماد الحسن فاروقی ـ ہندوستان میں اسلامی علوم و ادبیات (مجموعہ مقالات)

مکتبہ جامعہ لمیٹڈ دلی ۱۹۸٦ء

۵۲ ـ فقیر محمد جہلمی ـ حدائق الحنفیۃ

مطبع نامی نول کشور ، کانپور ؟؟

۵۳ فیروز سنز لمیٹڈ ـ اردو انسائیکلوپیڈیا

فیروز سنز لمیٹڈ ، لاہور ۱۹٦۸ء

۵٤ قاسم محمود ، سید ـ شاہکار اسلامی انسائیکلوپیڈیا ـ

شاہکار بك فاونڈیشن ، کراچی ۱۹۸٤ ء

۵۵ محمد محمود بلگرامی ـ تنقیح الکلام فی تاریخ خطۂ پاك بلگرام

مطبوعہ ؟؟ ۱۹۵۸ء

۵٦ ـ مسعود انور علوی ـ عربی ادب میں اودھ کا حصہ

مکتبہ انوریہ ، لکھنئو ۱۹۹۰ء

۵۷ ـ مقبول احمد صمدنی حیات جلیل (اول و دوم)

رام نرائن لال پبلشرز ، الہ آباد ۱۹۲۹ء

۵۸ ۔ مقصود ا یاز و محمد ناصر۔ شحصیات کا انسائیکلوپیڈیا

شعاع ادب لاهور ۱۹۸۷ء

۵۹ ۔ نگرامی ، محمد یونس ۔ هندوستان میں عربی علوم و فنون کے ممتاز علماء

نامی پریس، لکھنئو ۱۹۷۹ء

٦۰ ۔ وصی الحسن واسطی ۔ روضة الکرام شجرة سادات بلگرام

مطبوعه ؟؟ ۱۹٤۰ء

٦۱ ولی الله فرخ آبادی مفتی عهد بنگش کی سیاسی ، علمی و ثقافتی تاریخ ترجمه از فارسی :

حکیم شریف الزماں شریف اکیڈمی آف ایجوکیشنل ریسرچ ، کراچی ۱۹٦۵ء

المولفات الانجيلزية

62. ASHRAF, Mohammed : A concise Descriptive Catalogue of Persian Manuscripts (6 vol.) Salar Jung Museum, Hyderabad 1975

63. B.R. Publishing Corporation : Gazetteer of Province of Oudh (Vol. I) B. R. Publishing Corporation, Delhi 1985

64. BEALE, Thomas Willion : An Oriental Biographical Dictionary, Manohar Reprints, Delhi 1971.

65. BAGEL, Amar Singh : Uttar Pradesh District Gazetteers (Hardoi), Government of Uttar Pradesh Press, Lucknow 1987.

66. BRILL, E. J. : First Encyclopedia of Islam (1913-1936) vol. III, E.J. Brill, Lieden, Netherlands 1987.

67. BRILL, E.J. : The Encyclopedia of Islam (New Edition) vol. I, E. J. Brill, Lieden, Netherlands 1966.

68. BROCKELMANN, Dr. C. : Geschichte der Arabischen Literatur (French), Supplementband II, E.J. Brill, Lieden 1938.

69. ELLIOT, Mathew : The History of India as told by its own Historians, Vol. VIII, Kitab Mahal, Allahabad 1964.

70. ETHE' Hermann : Catalogue of Persian Manuscripts in Library of India Office, 2 Vol. Clarendon Press, Oxford, 1937.

71. HADI, Nabi : Dictionary of Indo-Persian Literature, I.G. National Centre of Arts, New Delhi 1995.

72. MERIDITH - Ownes, G.M. : Handlist of Manuscripts 1895-1966, The Trustee of British Museum, Londen 1968.

73. MUID, M.A. Khan : The Arabic Poets of Goconda, University of Bombay Press 1963.

74. RIEU, Charles : Catalogue of the Persian Manuscripts in the British Museum, vol. I, Gilbert and Rvington, London 1879.

75. SAMSAMUD DAULA, Shahnawaz Khan : The Maasir-ul-Umra, Tr. by H. Beveridge, 2 vol. Janaki Prakashan, Patna 1979.

76. STOREY, C.A. : Persian Literature - A Bio-biblographical Survey, vol. I, Part II, Luzac & Co. Ltd. London 1953.

77. TODAY & TOMORROW's Publishers : The Imperial Gazetteer of India vol. VIII, Today & Tomorrow's publishers, Delhi.

78. ZUBAID, AHMED M.G. Dr. : Contribution of India to Arabic Literature, Maktab-i-Din-o-Danish, Jullundur 1946.

الجرائد الانجليزية

79. JRASB, New Series, vol. XIII 1917

80. JRASB, New Series, vo. XIV 1918

81. JRASB, Third Series, vol. II 1936

82. Muslim Review (Calcutta) vol. I, No. 2 1926

الجرائد و المجلات

٨٣ ـ برهان دهلى المجلد ١ العدد٦ ديسمبر ١٩٣٨ء م

٨٤ ـ برهان دهلى المجلد ٨١ العدد ٥ نومبر ١٩٧٨م

٨٥ ثقافة الهند دهلى المجلد ١٧ العدد ١ ؟؟

٨٦ فكر و نظر عليجراه المجلد ١٩ العدد ٣،٤ يوليو ديسمبر ١٩٨٢ء

٨٧ مجلة دار العلوم ديو بند ا لمجلد ٤٩ العدد ٣ يونيو ١٩٧٥ م

٨٨ مجلة علوم اسلاميه عليجراه المجلد ٢ العدد ٢ ديسمبر ١٩٦١م

٨٩ ـ مجلة علوم اسلاميه عليجراه المجلد٦ العدد ٣ يونيو ديسمبر ١٩٦٥م

٩٠ ـ مجلة المجمع العلمى الهندى عليجراه المجلد ٥ العدد ١،٢ يونيو ١٩٨٠م

٩١ ـ مجلة معارف اعظم جره المجلد ١٢ العدد ٦ ديسمبر ١٩٢٣م

٩٢ ـ مجلة معارف اعظم جره المجلد٨٩ العدد ١ پنابر ١٠٦٢م

٩٣ ـ مجلة معارف اعظم جره المجلد ٨٩ العدد ٢ فبراير ١٩٦٢م

٩٤ ـ مجلة معارف اعظم جره المجلد ٨٩ العدد٣ مارس ١٩٦٢م

٩٥ مجلة معارف اعظم جره المجلد ٩١ العدد٤ ابريل ١٩٦٣م

٩٦ مجلة معارف اعظم جره المجلد١٢٦ العدد٤ اكتوبر ١٩٨٠م

المحتويات

المقدمة		٢ - ٦
الباب الأول:	**غلام علي آزاد – عصره و حياته**	**(٧-٣٧)**
الفصل الأول	الاوضاع الاجتماعية والسياسية والعلمية في عهد آزاد	٨ - ١٥
الفصل الثاني	قرية بلكرام : تاريخها و أهميتها	١٦ - ٢٦
الفصل الثالث	نبذة من حياة آزاد	٢٧ - ٣٧
الباب الثاني :	**الأعمال النثرية لغلام علي آزاد**	**(٣٨-٦٩)**
الفصل الأول	مساهمة آزاد في التاريخ والسير	٣٩ - ٤٤
الفصل الثاني	مساهمة آزاد في النثر العربي	٤٥ - ٥٦
الفصل الثالث	نظرة عابرة على مؤلفات آزاد الفارسية والاردية	٥٧ - ٦٩
الباب الثالث	**مساهمة آزاد في الشعر العربي**	**(٧٠ -١٠٠)**
الفصل الأول	الأعمال الشعرية لآزاد	٧١ - ٨٧
الفصل الثاني	خصائص شعر آزاد الفنية	٨٨ - ٩٤
الفصل الثالث	مكانة آزاد في تاريخ الشعر العربي في الهند	٩٥- ١٠٠
المصادر والمراجع		**١٠١-١٠٨**
المحتويات		١٠٩